البحريـــن
في القرآن الكريم
ـ مع دراسة تراثية توثيقية ـ

أ٠د٠ محمد كريم إبراهيم الشمري
عميد كلية الآداب / جامعة القادسية

الخلاصة :

يتعلق البحث الذي نقدمه بدراسة البحرين في القرآن الكريم ، كتاب الله العزيز ، الذي وصف البحر خير وصف ، وذكر خيراته ونعمه على بني البشر ، فضلاً عن فوائده العديـدة ، كمـا ذكـر البحرين الذي سنخصص له دراسة لبيان مفهومه ، وحدوده ، وإبراز مكانته ، التي اقترن ذكرها فـي القرآن الكريم ، والتي ربما تعني عدة مواضع .

وإذا كانت ظاهرة التقاء البر والبحر في بيئة البحرين ، قد شكلت ثنائية صاغت حياة أبنائها ، فإن ثنائية أخرى طبعت تسمية البحرين ووجودها ، من خلال التقاء بحرين : عذب فرات سائغ شرابه ، وملح أجاج مُر شرابه ، وهو الذي سيركز عليه البحث من خلال وصفه في القرآن الكريم ، فأصبح البحر بأمواجه وخيراته فضاءً رحباً فسيحاً صاغ الحياة الحضرية في ماسميت: البحرين ، وطبع حياتها بطابع متميز عبر عصور التاريخ المتتالية .

المقدمـــة :

يشكل البحر في حياة العرب ظاهرة حيوية ذات أهمية بالغة في تراثهم ، وقد ارتـبط البحـر ارتباطا ًوثيقا ً بها ، يتضح ذلك من خلال إطلالة شبه الجزيرة العربية – مهد العرب الأول – علـى البحر من ثلاث جهات ، هي : الخليج العربي من الشرق ، والبحر الأحمر مـن الغـرب ، والبحـر العربي والمحيط الهندي من الجنوب ، وكان للبحر دور خطير في تجارة المنطقة داخليا وخارجيا مـع العالم ، كما كان عنصرا حيويا في إنتاج اللؤلؤ ، خصوصاً في البحرين وقطـر وخـرج (خـارج)، وصار يشكل مورداً مهماً من الموارد الاقتصادية.

لقد ترك البحر تراثا رائعا للعرب ، تمثلَ في شعرهم الذي جَسّدَ حياة البحر وصَـوّرَ أنشـطته المختلفة ، ولنا في أشعار امرئ القيس و الاعشى والمسيب بن علس والمخبل السعدي وطرفة بـن العبد والمثقب العبدي وتميم بن ابي مقبل وغيرهم ، خير أدلة وشواهد تؤكد أثر البحـر فـي الشـعر العربي قبل الإسلام ، وخيرشاهدٍ على ذلك ماورد في معلقة امرئ القيس ، إذ قال :

وليـــلٍ كمـــوج البحـــر أرخـــى ســـدوله عَلـــيَّ بـــأنواع الهمـــوم ليبتلـــي

المبحث الأول : البحر في التراث اللغوي والجغرافي

البحر خلاف البر ، يقال : سمي بحراً لعمقه وإتساعه ، والجمع : أبحر وبحار وبحور ، وكل نهر عظيم : بحر ٠ ويسمى الفَرَس الواسع الجري : بحراً ، ومنه قول النبي (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) في مندوب فرس أبي طلحة : ((إن وجدناه لبحراً)) ٠ وماء بحر ، أي ملح ، وأبحر المـاء : ملح ، ويقال : أبحر فلان ، إذا ركب البحر ٠ [١]

والبحر الماء الكثير ، ملحاً كان أو عذباً ، وقد غلب على الملح حتى قلّ في العذب ، وماء بحر : ملح ، قل أو كثر ، وسمي بحراً لملوحته ، وقيل : إنما سمي البحر بحراً لسعته وانبسـاطه ، ومنـه قولهم : أن فلاناً لبحر ، أي واسع المعروف ، فعلى هذا يكون البحر للملح والعذب ، وأجمعَ أهل اللغة

أن اليم هو البحر ، وجاء في الكتاب العزيز : ((فألقيه في اليم)) [٢] ، قال أهل التفسير : هو نيل مصر حماها الله تعالى ، والبحر الماء صار ملحاً ٠

والبحر الرجل الكريم كثير المعروف ، وفرس بحر : كثير العَدْو على التشبيه بالبحر والبحر: الريف ، وبه فسر قوله عزوجل : ((ظهر الفساد في البر والبحر)) [٣] ؛ لأن البحر الذي هو الماء لايظهر فيه فساد ولاصلاح ، وقال الازهري : معنى هذه الآية ، أجدب البر وانقطعت مادة البحر بذنوبهم ، كان ليذوقوا الشدة بذنوبهم في العاجل ، وقال الزجاج : معناه ظهر الجدب في البر، والقحط في مدن البحر على الأنهار ٠ [٤]

وتبحرَ في العلم وغيره ، أي تعمقَ فيه وتوسعَ ، قال الأصمعي : بَحِرَ الرجل (بالكسر) يبحِرُ بحراً ، إذا تحير من الفزع ، مثل بطِر، ويقال أيضاً : بَحِر ، إذا اشتد عطشه ولم يُروَ من الماء ، ويقولون : هذا يوم بُحران (بالإضافة) ، ويوم باحوري على غير قياس ، فكأنه منسوب إلى باحور وباحوراء ، مثل عاشور وعاشوراء ، وهو شدة الحر في تموز (يوليو) ، وجمع ذلك مُوّلد ٠ [٥]

وكانت أسماء بنت عميس يقال لها : البحرية ؛ لأنها هاجرت إلى بلاد النجاشي فركبت البحر ، وكل مانسب إلى البحر ، فهو : بحري ٠ [٦]

وروى الأزهري [٧] عن ابن سيده أن كل نهر عظيم هو بحر ، وكل نهر لاينقطع ماؤه مثل دجلة والنيل ومأشبههما من الأنهار العذبة الكبار ، فهو بحر. أما البحر الكبير الذي هو مغيض هذه الأنهار فلا يكون ماؤه إلا ملحاً أجاجاً وراكداً ، وأما هذه الأنهار العذبة فماؤها جار، وسميت هذه الأنهار بحاراً ؛ لأنها مشقوقة في الأرض شقاً ، ويسمى الفرس الواسع الجري : بحراً ٠

وفي الحديث : أبى ذلك البحر ابن عباس ؛ سمي بحراً لسعة علمه وكثرته ، ويقال : انما سمي البحر بحراً ؛ لأنه شق في الأرض شقاً ، وجعل ذلك الشق لمائهِ قراراً ، والبحر في كلام العرب : الشق ، وفي حديث عبد المطلب : وحفر زمزم ثم بحرها بحراً ، أي شقها ووسعها حتى لاتنزف ٠

واستبحر الرجل في العلم والمال ، وتبحر : اتسع وكثر ماله ، وتبحر في العلم : اتسع ، واستبحر الشاعر إذا اتسع في القول ٠

ورد ذكر البحر والبحار التي تحيط ببلاد العرب وأقطارها في كثير من المصادر الجغرافية ، فقد وصف الاصطخري [٨] حصن ابن عمارة على الساحل الشرقي للخليج العربي ، بأنه حصن منيع لهم على البحر ، ووصف ابن حوقل [٩] قلعة ابن عمارة بأنها مرصد لهم على البحر ، يعرفون منها المراكب ، فاذا أقبلت خرجوا إليها وطالبوا أهلها بضرائب على مايحملون في المراكب ، وأسهب أيضاً [١٠] في الحديث عن بحر فارس وجزائر بني حُدّان ، وذكر [١١] أن بحر فارس (الخليج العربي) هو خليج من البحر المحيط ، أي المحيط الهندي ، وقد ذكر جغرافيو القرنين الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين ، البحرين والبحار المحيطة ببلاد العرب وأقطارها [١٢]، موضحين صلتها بهذه البلاد عبر عصور التاريخ ، كما ذكرها الجغرافيون الذين تلوهم ، وأبرزهم الحموي [١٣] الذي وصف البحرين بأنها : اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند (الخليج العربي) بين البصرة وعُمان ، وفيها عيون ومياه وبلاد واسعة ٠

وقال ابن المجاور البغدادي النيسابوري [١٤] حول البحرين مانصه:((ماسمي البحرين بحرين إلا لأجل البحر وأهلها عرب شُبه البحر في كرمهم،أي بلاد تسمى البحرين بحر ماء وبحر خلق٠ وتسمى الجزيرة جزيرة أوال ٠٠٠ وهي جزيرة في صدر الغبة وبر العرب وفارس مستدار حولها))٠

والبحرين بلد والنسبة إليه : بحراني ، كرهوا أن يقولوا بحري ، والبحرة : البلدة ، يقال هذه بحرتنا ، أي بلدتنا وأرضنا ، ولقيته صحره بحرة ، أي بارزاً ليس بينك وبينه شيء .[١٥]

والنسب إلى البحر : بحراني على غير قياس ، كأنهم بنوا الإسم على فعلان ، وهذا من شواذ النسب ، ونسب هذا القول إلى سيبويه والخليل رحمهما الله تعالى ، وماقاله سيبويه قط، وإنما قال في

شواذ النسب تقول في بهراء بهراني ، وفي صنعاء صنعاني ، كما تقول بحراني في النسب إلى البحرين التي هي مدينة ، وفي الغريب المصنف عن اليزيدي ، أنه قال : إنما قالوا بحراني في النسب إلى البحرين ، ولم يقولوا بحري ؛ ليفرقوا بينه وبين النسب إلى البحر . (١٦) أي : بحري .

وذكر البكري (١٧) بحران ، بفتح أوله على وزن فعلان : معدن بالحجاز ، وغزوة بحران من غزوات رسول الله (ص) ، التي لم يكن فيها قتال .

والبحران ثنية بحر ، وهو بلد مشهور بين البصرة وعُمان ، صالحَ أهله رسول الله (ص) ، وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي ، وبعث أبا عبيدة ليجبي الجزية ، فقدم بمالٍ من البحرين ، فسمعت الأنصار بقدومه ، ووافوا صلاة الفجر مع رسول الله (ص) .

ذكر الأزهري (١٨) أن البحران موضع بين البصرة وعُمان ، النسب اليه بحري وبحراني ، قال اليزيدي : كرهوا أن يقولوا بحري ، فتشبه النسبة إلى البحر ، وعن الليث : رجل بحراني منسوب إلى البحرين ، ويقال : هذه البحرين وانتهينا إلى البحرين ، وأضاف الأزهري قائلاً : ((وإنما ثنوا البحرين ، لأن في ناحية قراها بحيرة على باب الإحساء وقرى هجر ، بينها وبين البحر الأخضر [الخليج العربي] عشرة فراسخ [بحدود ٤٥كم] ، وقدرت البحيرة ثلاثة أميال في مثلها [بحدود ١٨كم] ، ولايغيض ماؤها وهو راكد زعاق)).

لقد اوضحنا كفاية معنى البحر والبحرين واشتقاقاتهما من خلال كتب التراث العربي اللغوية والجغرافية ، لتكون مفتاحاً ومنطلقاً لبحثنا عن : البحرين في القرآن كريم .

المبحث الثاني : البحرين في القرآن الكريم

ورد ذكر البحرين في القرآن الكريم في أربعة مواضع ، وورد ذكر (البحران) مرة واحدة فقط ، وسوف نعرض لتفسير الآيات التي ورد فيها ذكر البحرين ومجمع البحرين ومرج البحرين ، فضلاً عن الاستعانة بمصادر التراث المختلفة من لغوية وأدبية وجغرافية لتحديد مواضع هذه التسميات . ثم نختم بحثنا بذكر البَحران وتفسيرهما ودلالاتهما .

(١)

((وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا * فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا)) . الكهف ، الآيتان : ٦٠-٦١ .

واذكر حين قال موسى بن عمران لفتاه يوشع : لا أزل أسير حتى أبلغ اجتماع بحر فارس والروم ، أو أسيرُ زماناً طويلاً ، فلما بلغ موسى وفتاه مجمع البحرين ، تركا حوتهما هناك ، فاتخذ الحوت طريقه في البحر مذهباً ومسلكاً ... (١٩) .

وفي تفسير القرطبي (٢٠). وإذ قال موسى لفتاه يوشع بن نون – قال فبينا هو في ظل صخرة في مكان ثريان (مبلول) إذ تَضَرّب (من الضرب في الأرض وهو السير) الحوت وموسى نائم ، فقال لفتاه : لا أوقظه ، حتى إذا استيقظ نسي أن يخبره . وتضرب (سار) الحوت حتى دخل البحر ، فأمسك الله عنه جريه البحر حتى كأن أثره في حجر . وفي رواية : وأمسك الله عن الحوت جريه الماء فصار مثل الطاق(عقد البناء ، والجمع : أطواق وطيقان) ، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت ، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما .

أما تفسير الآية : ((فلما بلغا مجمع بينهما ...))، الضمير في قوله (بينهما) للبحرين ، والسرب : المسلك ، وقال قتادة : جمد الماء فصار كالسرب ، وجمهور المفسرين ذكروا أن الحوت بقي موضع سلوكه فارغاً ، وأن موسى مشى عليه متبعاً الحوت ، حتى أفضى به إلى جزيرة في البحر ، وفيها وجد الخضر (ع) ، وظاهر الروايات والكتاب أنه إنما وجد الخضر(ع) في ضفة البحر، وقوله:((نسيا حوتهما)) وانما كان النسيان من الفتى وحده ، فقيل : المعنى ، نسي أن يُعلِم

موسى بما رآه من حاله ، فنُسِب النسيان إليهما للصحبة ، كقوله تعالى : ((يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)) ، وإنما يخرج من الملح [٢١] .

وفي تفسير القرطبي [٢٢] : قيل أن موسى هذا ليس موسى بن عمران ، وإنما هو : موسى بن منشا بن يوسف بن يعقوب ، وكان نبياً قبل موسى بن عمران ، وفتاه هو : يوشع بن نون ، ومعنى لا أبرح أي لا أزال أسير ، وقيل : لا أفارقك (لا أبرح) حتى أبلغ مجمع البحرين ، أي ملتقاهما .

قال قتادة : وهو بحر فارس والروم ، وقيل : هو ذراع يخرج من البحر المحيط من شمال إلى جنوب في أرض فارس من وراء أذربيجان ، فالركن الذي لاجتماع البحرين مما يلي بر الشام هو : مجمع البحرين ، على هذا القول .

وحول مجمع البحرين والمقصود بالبحرين ، هنالك أقوال أخرى ذكرها القرطبي في تفسيره سنوردها كما هي ، ثم نستأنس بآراء الرحالة والجغرافيين بخصوصهما . وقيل : هما بحر الأردن وبحر القلزم ، وقيل : مجمع البحرين عند طنجة ، وقيل انه بإفريقية (تونس) ، وقال بعض أهل العلم : هو بحر الأندلس من البحر المحيط (الأطلسي) ، وقالت فرقة : إنما هما موسى والخضر ، وهذا قول ضعيف .

وأورَدَ ابن كثير [٢٣] تفسيراً لهذه الآية ، خلاصته أن سبب قول موسى لفتاه (وهو يوشع بن نون) هذا الكلام ، انه ذكر له عبداً من عباد الله بمجمع البحرين ، عنده من العِلم مالم يُحَط به موسى فأحب الرحيل إليه ، وقال لفتاه ذلك : (لا أبرح) أي لا أزال سائراً (حتى أبلغ مجمع البحرين) ، أي هذا المكان الذي فيه مجمع البحرين ، وقال الفرزدق :

فما برحوا حتى تهادت نساؤهم ببطحاء ذي قار عياب اللطائم

لم يوضح لنا ابن كثير دوافع استشهاده ببيت الفرزدق هذا ولا مناسبته ، ولعل الاستشهاد ببيت الشعر الذي قاله الفرزدق ، لأجل ذكر كلمة (برحوا) ، أي : لا يتوقفوا حتى يحققوا مبتغاهم ، بمعنى يواصلوا السَير حتى يصلوا إلى هدفهم وغايتهم التي ساروا من أجلها ، وهو مجرد إستشهاد بذكر : (برحوا) .

انتقل ابن كثير مباشرة بعد إيراده بيت الفرزدق إلى ذكر آراء المفسرين حول مفهوم البحرين ومجمع البحرين ، مكرراً ما ذكره سلفه من المفسرين الذين ذكرناهم سابقاً ، ومنهم قتادة ، بما نصه : ((قال قتادة وغير واحد : هما بحر فارس مما يلي المشرق وبحر الروم مما يلي المغرب ، وقال محمد بن كعب القرظي : مجمع البحرين عند طنجة ، يعني في أقصى بلاد المغرب [٢٤] ، والله أعلم)) [٢٥] .

وهكذا نجد تكرار مسألة المقصود بالبحرين بأنه اجتماع بحر فارس وبحر الروم ، دون تحديد بالضبط أين يقع مكان مجمع البحرين حصراً ، وسنعود لعرض آراء عدد من الجغرافيين واللغويين والمفسرين حول هذه المسألة المهمة جداً والحساسة ، التي مازالت حتى يومنا هذا غامضة مبهمة شبه مجهولة لدى جمهور واسع من الناس !

وبخصوص تفسير قوله تعالى : ((أو أمضي حقبا)) ذكر ابن كثير معناها ، أي ولو أني أسير حقباً من الزمان ، قال ابن جرير رحمه الله : ذكر بعض أهل العلم بكلام العرب ، أن الحُقب في لغة قيس : سَنَة ، ورُوِيَ أن الحقب ثمانون سنة ، وقال مجاهد : سبعون خريفاً ، وقال آخرون:قوله((أ و أمضي حقباً)) ، أي : دهراً .

اما بخصوص تفسير قوله تعالى : ((فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما)) ، فقد ذكر ابن كثير [٢٦] في تفسير قوله تعالى هذا ، انه أمر بحمل حوت مملوح له ، وقيل له : متى فقدت الحوت فهو ثمة ، فسارا حتى بلغا مجمع البحرين ، وهناك عين يقال لها : عين الحياة ، فناما هنالك ، وأصاب الحوت من رشاش ذلك الماء فاضطرب ، وكان في مكتل مع يوشع (ع) ، وطفر من المكتل إلى البحر

، فاستيقظ يوشع (ع) وسقط الحوت في البحر فجعل يسير في الماء ، والماء له مثل الطاق لا يلتئم بعده ؛ لهذا قال تعالى : ((واتخذ سبيله في البحر سربا)) ، أي مثل السرب في الأرض .

وقال آخرون : صار أثره كأنه حجر ، وقيل : جعل الحوت لا يمس شيئاً من البحر إلا يَبسَ حتى يكون صخرة ، وقال قتادة : سَرِبَ من البحر حتى أفضى إلى البحر ، ثم سلك فيه فجعل لا يسلك فيه طريقاً إلا صار ماءً جامداً . ((فاتخذ سبيله)) أي طريقه في البحر عجباً ((**فوجدا عبداً من عبادنا أتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً**)) . الكهف (١٨) ، آية : ٦٥ ، وهذا هو الخضر (ع) كما دلت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله (ص) .

ونقل الصابوني [٢٧] : ((كان للحوت سرباً ولموسى وفتاه عجباً)) . رواه البخاري ؛ لأن الحوت كان ميتاً فدبت فيه الحياة .

وما دمنا بصدد مناقشة مفهوم البحرين ومجمع البحرين ، وبعد عرضنا جملة من الآراء المتباينة والمتعددة حولهما ، من خلال رجوعنا إلى المصادر اللغوية وكتب التفسير التي عرضناها آنفاً ، لابد لنا من عودة إلى التراث الجغرافي العربي الإسلامي ، للاستنجاد به لحل هذه المعضلة المعقدة .

لعل المقدسي الجغرافي الوحيد الذي يُعد في طليعة الرواد الأوائل الذين ناقشوا مناقشة علمية مستفيضة موضوع البحار والأنهار ، وإجلاء الغموض عن معمياتها وما أبهم منها ، فعقد عنواناً : (ذكر البحار والأنهار) ، وسنعتمد كثيراً من آرائه حول مواضيع هذا البحث ، وفي صدارتها : مرج البحرين .

أشار المقدسي [٢٨] إلى وقوع اختلاف حول تفسير : ((مرج البحرين يلتقيان)) موضحاً ذلك الإختلاف ، ومُقيماً الحُجة على أنهما يلتقيان ، والالتقاء غير الاجتماع – كما سنوضح .

إن الذي يهمنا من آراء المقدسي ما يتعلق بمفهوم : مجمع البحرين ، فقد ذكر أن الله تعالى سمى بحر الروم (البحر المتوسط) : بحرين ، وقدم دليلاً على ذلك هذه الآية ، قال تعالى : ((وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا ٠٠٠)) ، وكان هذا كله بسواحل الشام ، وأعلام (علامات) ذلك ظاهرة وصخرة موسى ثَمّ بينة (دليل / برهان) . فان قيل فلِمَ لا قلتَ أن معنى قوله ((مرج البحرين)) هو بحر واحد أيضاً ، فالجواب : هذا لا يجوز ؛ لأن الله تعالى قال : ((بينهما برزخ)) والبرزخ الحاجز ، مع إنا نقول لهذا المُخالِف : إن كان الأمر على ماتزعم فأرنا ثمانية بحار في الإسلام . فان ذكرَ المحيط قيل له : ذلك على تخوم العالم بغير نهاية تُعرف ، وان ذكر القسطنطيني قيل : ذلك خليج من الرومي (البحر المتوسط) ، يخرج خلف إصقلية ، ألاترى أنهم أبداً يغزون فيه . فان ذكر الخزري قيل له : تلك بحيرة ، ألا ترى أن أكثر الناس يسمونها : بحيرة طبرستان ، أوَ لمْ ترَ إلى قُرْب أطرافها ، فان قال المقلوبة (البحر الميت) والخوارزمية (بحر آرال) قيل له : من جعل هاتين من هذه الجملة ، لزمه أن يجعل بحيرات : الرحاب وفارس وتركستان ، فيجاوز العشرين ، فإن أنصَفَ رجع إلى قولنا ، والله أعلم .

يتضح لنا بجلاء أن المقدسي ألقى الحجج والبراهين والأدلة الكافية علمياً على أن مجمع البحرين الناتج عن : البحرين ، هو بحر الروم ، أي : (البحر المتوسط) ، وأن هذا المجمع يقع في سواحل بلاد الشام . وسنشير إلى آراء أخرى ووجهات نظر متباينة حول مفاهيم : البحرين ، مجمع البحرين ، مرج البحرين .

واتماماً للفائدة وتوخيا لجلاء الغموض حول مفهوم : مجمع البحرين ، نورد أدناه آراء بعض الجغرافيين وانطباعاتهم عنه ، ونترك الفصل والحكم لجمهور القراء الكرام ؛ للتوصل إلى تفسير مقنع وقريب لهذا المفهوم الذي تعددت الآراء حوله ، وهو – كما ذكرنا في مقدمتنا – يشمل عدة مواضع ، لعل أحدها مملكة البحرين الحالية ، المسماة قديماً: جزيرة أوال ، ونميل إلى القول أن تحكيم العلم والمنطق هما السبيل الكفيل لحسم هذا الخلاف ، بين جمهور اللغويين والمفسرين والرحالة الجغرافيين

من العرب والمسلمين ، حول مفهومي : البحرين ومجمع البحرين الذي يسمونه : مجتمع البحرين ، أو : المجتمع ، (دون إلحاقه بشيء) .

أشار ابن رسته [٢٩] إلى اجتماع نهري الرَس والكُر ، ومرور نهر الرَس بـ: المجتمع ، المقصود أنه : مجتمع البحرين ، ونهر الرس هو نهر أرمينية يخرج من قالي قلا (قاليقلا) ، ويمر برستاق (ريف) من ناحية العدس وسوقه ثم بديبل ويمر بالمداين ، ويقع فيه من جبال أرمينية وجبال المداين أنهار ، ثم يمر بـ : ورثان إلى مدينة برزنج ، فإذا جاوزها اجتمع مع نهر الكرُ ، وانصب في بحر طبرستان .

ونهر الرس يخرج من قالي قلا ويمر بآران ويصب فيه نهر آران ، ثم يمر بالورثان ثم يمر بـ : المجتمع . ونرجح أنه المجمع ، أي : مجمع البحرين ، فيجتمع هو (الرس) والكر ، وبينهما مدينة البيلقان فيصبان في بحر جرجان ، ونهر الكر يخرج من بلاد اللان ويمر بتفليس وبرذعة ، وينصب في بحر طبرستان .

نستنتج مما ذكره ابن رسته ان المجتمع هو البحر المتكون من التقاء نهري الرس والكر ، فيصبان في بحر جُرجان ، وقيل أن نهر (الكر) يصب في بحر طبرستان ، ولعل المقصود بالمجتمع هنا في الأعم الأرجح هو : مجتمع البحرين ، أي مجمع البحرين ، وهما بحر جرجان وبحر طبرستان.

أشار ابن رسته [٣٠] إلى موضع آخر ، نرجح أنه مجمع البحرين في الخليج العربي ، فذكر ملتقى البحر الأخضر (الخليج العربي) وبحر البصرة ، والمرجح أنه شط العرب أحد فروع الخليج العربي ، ويسمى : خليج البصرة ، وأوضحَ ان ذلك الملتقى يشكل بحراً من لقاء البحرين ، ويقطع الجزيرة العربية في أرض نجد وأرض تهامة ، وفيه من المدن هناك : اليمامة والبحرين وهجر والمدينة المنورة والجار ومكة والطائف وجدة، ثم يقطع بحر قلزم (الأحمر) . ولعل ابن رسته أشار بوضوح إلى التقاء الخليج العربي بالبحر الأحمر الذي هو خليج صغير من الخليج العربي .

ومما يدعم رأينا السابق حول وجود مجمع البحرين في أرمينية ومرور نهر الرس فيه ، ما ذكره ابن خرداذبة [٣١] صراحة بتسمية المجمع ، وهو مجمع البحرين ، وهي التسمية نفسها التي سماها ابن رسته لكن بصيغة أخرى ، وهي : المجتمع ، فقد خصص ابن خرداذبة باباً عنوانه : (باب مخارج الأنهار) ، إذ يقول : ((ومخرج الرس نهر أرمينية من قاليقلا ويمر بآران ويصب فيه نهر آران ثم يمر بورثان حتى يبلغ المجمع وهو مجمع البحرين الذي ذكره الله جل وتقدس [٣٢] فيجتمع هو والكر وبينهما مدينة البيلقان فاذا اجتمعا مرا [ويمر الكر والرس إذا اجتمعا بالمجمع] [٣٣] حتى يصبا في بحر جُرجان)) .

إن ما ذكره ابن خرداذبة يشير صراحة إلى المجمع وهو : مجمع البحرين الذي ذكره الله تعالى في القرآن الكريم ، ويكاد ابن خرداذبة يتفق مع نص ابن رسته ، لكنه حدد مجمع البحرين في أرمينية باجتماع نهري الرس وآران ، أكثر صراحة من ابن رسته في تسميته .

أشارَ إبن خرداذبة [٣٤] أيضاً إلى مجمع ثانٍ في بحر جُرجان ، إذ قال :((ومخرج نهر أسبيدروذ من عند باب مدينة سيسر ، ومخرج نهر شاهروذ من طالقان الري ، ويجتمعان فيصبان في بحر جرجان)) .

وحدد قدامة بن جعفر[٣٥] مجتمع (مجمع) البحرين في نهاية الغرب . عند اجتماع البحر المتوسط والمحيط الأطلسي ، إذ يقول : ((... وهي [وليلة] آخر مدائن طنجة ... ووراء ذلك بلاد الأندلس والمستولي عليها الأموي ومسكنه فيها في قرطبة ، والاندلس نهاية الغرب وبها مجتمع البحرين)) . ولعل هذا الرأي يدعم عدة آراء ذكرها القرطبي [٣٦] حول مجمع البحرين ، أبرزها مجمع البحرين عند طنجة ، ولعل هذا رأي قدامة نفسه ، اذ قصد اجتماع البحر المتوسط والمحيط

الأطلسي قرب طنجة ، وقيل : هو بحر الأندلس من البحر المحيط ، الذي عززه رأي قدامة أيضاً من خلال قوله أعلاه .

وذكر الغرناطي [٣٧] روايات عديدة حول مجمع البحرين ، ففي حديثه عن صنم قادس روى أن الذي بناه ذو القرنين والله أعلم بالصواب ، وعلل ذلك بقوله : ((وذلك أن في أندلس مجمع البحرين ، البحر الأسود [المحيط الأطلسي] وبحر الروم)) ، وأضاف أن في مجمع البحرين جزيرة بنيت فيها منارة من الصخر الأسود موضحاً وصفها ، مشيراً إلى أن البحر الأسود فيه أمواج كالجبال لا تستطيع السفينة دخوله لكثرة أهواله،وهي ظاهرة مستمرة .

ووصف الغرناطي [٣٨] البحر الأسود بأنه يخرج منه بحر الروم (البحر المتوسط) ، وبينهما مجمع البحرين ، الذي حدد عرضه بمقدار ثلاثة فراسخ (بحدود ١٥كيلو متر) وطوله عشرون فرسخاً أي بحدود تسعين كيلو متراً ، وفيه المد والجزر بدءاً من طلوع الشمس حيث تعلو المياه في البحر الأسود(المحيط الأطلسي) المعروف بـ : بحر الظلمات ، وتصب في بحر الروم من مجمع البحرين ، حتى تفيض في بحر الروم وتخرج على جوانبه بحيث يصل المد إلى خلف القسطنطينية مسيرة شهور في ساعة واحدة ويستمر حتى إلى وقت الظهر ، فإذا استقرت الشمس في كبد السماء غاض البحر الأسود أي نقص ماؤه ، فيعود الماء ليصب من بحر الروم في البحر الأسود إلى وقت مغيب الشمس فيستوي البحران ، ثم يعلو البحر الأسود فيعود الماء يجري من مجمع البحرين إلى بحر الروم إلى نصف الليل ، ثم يصب أيضاً في البحر الأسود إلى الصباح ، وبذلك يحصل المد والجزر كل يوم مرتين ، وكل ليلة مرتين وذلك بإرادة الله العزيز العليم وقدرته .

استمر الغرناطي في وصف البحر الأسود ومجمع البحرين ، فذكر وجود أسماك كبيرة ذكر أن حجمها كالجبال ! وهذه مبالغة كبيرة جداً ، تخرج من البحر الأسود ، ونرجح أنها من صنف الحيتان الكبيرة أو الدلافين ، تتبعها أسماك أكبر منها لتأكلها ، فتهرب منها وتعبر في مجمع البحرين ، ثم تتبعها الأسماك الأكبر منها لتعبر في أثرها إلى مجمع البحرين ، وروى الغرناطي أنه كان في مجمع البحرين (أي في عصره وقتذاك) في سفينة ، فخرجت سمكة من البحر مثل الجبل العظيم ، وصاحت صيحة – وصفها قائلاً : ((لم أسمع قط أوحش منها ولا أهول ولا أقوى منها فكاد أن ينخلع قلبي وسقطتُ على وجهي أنا وغيري ، وألقت نفسها في البحر ، واضطرب البحر علينا ، وعظمت أمواجه وخفنا الغرق حتى نجانا الله عز وجل وسمعتُ الملاحين يقولون هذه السمكة تعرف بـ : البغل)) ، ولا شك أن هذا الوصف فيه مبالغة وتهويل كبيرين جداً ، ولعل هذه الأسماك من أصناف الحوت الكبير أو الدولفين ، الذي كان معروفاً في البحار ويشكل خطراً على السفن والمراكب في ذلك العصر ، وكان الربابنة والملاحين يبالغون مبالغات كبيرة في وصف البحر وأهواله وما يصادفونه في رحلاتهم البحرية ، مما يوضح امتزاج الكثير من الخرافات والأساطير بالحقائق من خلال أوصافهم ومشاهداتهم.

أشار الغرناطي [٣٩] إلى أن الصخرة التي وصل إليها النبي موسى(عليه السلام) ويوشع في مجمع البحرين ، وعندها نسيا حوتهما ، وكان الحوت مشوياً أكلا نصفه الأيمن طولاً مع نصف رأسه وعينه الواحدة اليمنى ، وأخبره الله تعالى أن موضع الخضر (عليه السلام) في المكان الذي يصير فيه الميت حياً . وهي من معجزات الله سبحانه وتعالى وآلائه وقدرته ، فلما وصل إلى الصخرة عاد نصف السمكة المشوية (المأكول نصفها) حياً ، وانسل ذلك على صورة نصف السمكة بعين واحدة الجانب الأيمن ، كأنه قد أكل بقي حشوته عليها شوك أضلاعها ، وجلد رقيق يحفظها ، والنصف الأيسر صحيح وهو أطيب الأسماك ، ويكون صغاراً وكباراً ، ونسلها من مجمع البحرين عند تلك الصخرة وبالقرب منها ، تحمله اليهود والنصارى مُقدداً إلى بلادهم ويتبركون به ، وهو من أطيب الأسماك .

نخلص من خلال روايات الغرناطي التي لا تخلو من المبالغة أنه حدد مجمع البحرين عند بلاد الأندلس ، في الموضع الذي يلتقي فيه البحر المتوسط مع المحيط الأطلسي ، كما أنه حدد الصخرة التي وصل إليها النبي موسى (ع) ويوشع بن نون في هذا المكان عند مجمع البحرين ، وبالتحديد على الجانب الشرقي من الصخرة ، ولعلها في الأعم الأرجح : جبل طارق اليوم ، وهو رأي يضاف إلى الآراء الأخرى المتعددة بخصوص تحديد موضع مجمع البحرين ، الذي بقي لغزاً قرآنياً غير محسوم حتى يومنا هذا .

نختتم فقرتنا المهمة جداً هذه عن : مجمع البحرين بما ذكره ياقوت الحموي [٤٠] عن المجمع ونهر الرس ، مبتدءاً حديثه عن الرس مستشهداً بقوله عز وجل : ((وأصحاب الرَس وقروناً بين ذلك كثيراً)) [٤١] ، نقلاً عن آخرين ، أن الرس وادي أذربيجان وحَدْ أذربيجان ما وراء الرس ، ويقال أنه كان بآران على الرس ألف مدينة ، فبعث الله إليهم نبياً يُقال له: موسى ، وهو ليس موسى بن عمران ، فدعاهم إلى الله والإيمان به ، فكذبوه وجحدوه وغصوا أمره ، فدعا عليهم ، فحّول الله جبلي الحارث والحويرث من الطائف ، فأرسلهما عليهم ، فيُقال ان أهل الرس تحت هذين الجبلين ولا تخلو هذه الرواية من مبالغات وأهوال غير مقبولة .

حدد الحموي أيضاً مخرج نهر الرس ، بصيغة مشابهة تماماً لما ذكره ابن رسته وإبن خرداذبه ، مشيراً إلى : المجمع ، الذي نرجح أنه : مجمع البحرين ، وهي التسمية ذاتها التي أطلقها إبن خرداذبة ، فذكر أن مخرج الرس من قاليقلا ، ويمر بآران ثم يمر بورثان ثم يمر بالمجمع (المرجح أنه : مجمع البحرين) ، فيجتمع هو والكُر وبينهما مدينة البَيلقان ، ويمر الكُر والرس جميعاً فيصبان في بحر جُرجان ، والرس هذاوادِ عجيب فيه من السمك أصناف كثيرة.

نستنتج من روايات ابن رسته وإبن خرداذبة والحموي أن مجمع البحرين الذي سمي حسب رواية هؤلاء الجغرافيين : المجتمع ، والمجمع وهو مجمع البحرين ، والمجمع هو مكان في المشرق ضمن قارة آسيا بين حدود جرجان وطبرستان وأذربيجان ، وهو مكان إجتماع نهر الرس في أرمينية مع نهر الكر في بحر طبرستان ، وبعد خروجه يجتمع مع الكر ثانية فيصبان في بحر جرجان ، والرس نهر في أرمينية ووادي في أذربيجان .

أورد الحموي [٤٢] رواية مسعر بن المهلهل عن الرَس ، فذكر أن نهر الرس يخرج إلى البلاسجان ، ومنها وثان والبيلقان ، وفي هذه الصحراء خمسة آلاف قرية ، أكثرها خراب ، إلا أن جدرانها وأبنيتها باقية لم تتغير ؛ لجودة التربة وصحتها !

ويُقال أن تلك القرى كانت لأصحاب الرّس الذين ذكرهم الله في القرآن المجيد ، ويُقال أنهم رهط جالوت ، قتلهم داوُد وسليمان (عليهما السلام) ، لما مَنَعوا الخراج ، وقُتل جالوت بأرمية (أورمية) .

اتضح لنا بجلاء أن أصحاب الرَس كانوا من الأقوام البائدة ، التي أبادها الله عز وجل ؛ بسبب كفرها وطغيانها ، واقترن ذكرها في القرآن الكريم مع عاد وثمود وقوم نوح (سورة الفرقان (٢٥) ، آية : ٣٨ ، سورة ق (٥٠) ، آية :(١٢) .

(٢)

((وهو الذي مَرَجَ البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما بَرزَخاً وحِجراً محجوراً)) . الفرقان ، آية: ٥٣.

والله الذي خلط البحرين ، وأفاض أحدهما في الآخر ، هذا عذب شديد العذوبة ، وهذا مُرّ لايُشرَب ، وجعل بينهما حاجزاً يمنع من إفساد الآخر ، وجعل كل واحد منهما حراماً محرماً على صاحبه أن يُغَيره ويُفسده . [٤٣]

وفسر القرطبي [٤٤] هذه الآية ، موضحاً معنى مَرَجَ ، أي : خلى وخلط وأرسلَ، أرسلهما وأفاض أحدهما في الآخر ، مَرجَ البحرين أي خلطهما فهما يلتقيان ، يُقال : مرجته إذا خلطته ، ومرج الدين والأمر : إختلط واضطرب ، ومنه قوله تعالى :((في أمر مريج)) . سورة ق(٥٠) ، آية : ٥.

مرج البحرين أي أجراهما ، هذا عذب فرات أي حلو شديد العذوبة ، وهذا ملح أجاج أي فيه ملوحة ومرارة ، وجعل بينهما برزخاً ، أي حاجزاً من قدرته لايغلب أحدهما على صاحبه ، وحِجراً مَحجوراً أي سِتراً مَستوراً ، وحراماً محرماً أن يعذب هذا الملح بالعذب ، أو عالج هذا العذب بالمالح .

أفاض المقدسي [٤٥] في حديثه عن البحار والانهار مشيراً إلى الآية القرآنية الكريمة أعلاه، فذكر ان البرزخ من الفرما إلى القلزم مسيرة ثلاثة أيام ، فإن قيل إنما أراد الله تعالى بالبحرين العذب والمالح ؛ لأنهما لا يختلطان كما قال : "وهو الذي مرج البحرين " الآية ، فالجواب أن اللؤلوء والمرجان لا يخرجان من الحلو ، والله يقول منهما : ((يخرج منهما اللؤلوء والمرجان)) ، ولا خلاف بين أهل العلم أن اللؤلوء يخرج من الصيني (المحيط الهندي) والمرجان من الرومي(البحرالمتوسط) ،فعرفنا أنه إنما أراد هذين البحرين .

وذكر المقدسي [٤٦] إن الله تعالى ذكر في هذه الآية بحرين ، فأشار إلى بحرين معهودين ، والألف واللام إذا لم يكونا للجنس فإنما هما للتعريف ، وأجابَ المقدسي على التساؤل حول معنى قوله تعالى ((مَرجَ البحرين)) ، لماذا لا يقال انه بحر واحد ؟ فقال : ((هذا لا يجوز ، لان الله تعالى قال ((بينهما برزخ)) والبرزخ حاجز ، مع إنا نقول لهذا المُخالِف إن كان الأمر على ما تزعَم فأرنا ثمانية بحار في الإسلام ٠٠٠فان انَصفَ رَجعَ إلى قولنا والله أعلم))٠

يتضح لنا مما ذكره المقدسي أن مَرجَ البحرين ، يعني وجود بحرين مختلطين بعضهما ببعض أحدهما عذب فرات ، ماؤه حلو عذب ، والآخر مالح أجاج ماؤه مرُ مالح ، يسير كل منهما بطريقه الخاص دون اختلاط ، بدليل ذكر البرزخ أي الحاجز بينهما ، وهو سِتر مَستور لا يُرى بالعين ، وهذه من آلاء الله سبحانه وتعالى وقدرته ومعجزاته التي تدلل على عظمته و اقتداره ٠

(٣)

((**أمّنْ جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رَواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون**)) . النمل ، آية :٦١٠

هل عبادة الأوثان خير، أم عبادة الذي جعل لكم الأرض مستقرة (هذا برهان آخر على وحدانية الله جَل وعَلا) ، وجعل لكم فيها أنهاراً وجعل للأرض ثوابت من الجبال ، وجعل بين الماء العذب والملح حاجزاً لئلا يُفسد أحدهما صاحبه ، أمعبود مع الله سواه فعل هذه الأشياء ؟ بل أكثر هؤلاء المشركين لايعلمون قدر عظمة الله [٤٧] ٠

وفي تفسير القرطبي [٤٨] : أمن جعل الأرض قراراً ، أي مُستقراً وجعل خلالها أنهاراً أي وسطها ، مثل : وفجرنا خلالهما نهراً . [سورة الكهف (١٨) ، الآية : ٣٣] . وجعل لها رواسي يعني جبالاً ثوابت تُمسكها وتمنعها من الحركة ، ((وجعل بين البحرين حاجزاً))مانعاً من قدرته ، لئلا يختلط الأجاج بالعذب ٠وقال ابن عباس : ((سلطاناً من قدرته فلا هو يُغّير ذاك ولا ذاكَ يُغّير هذا ، والحَجز :المَنع ٠٠٠)) .

توضح لنا هذه الآية وجود بحرين من الماء أحدهما عذب فرات والآخَر مالح أجاج ، وبينهما حاجز يمنع اختلاطهما ، وهي تحمل نفس دلالات الآية السابقة لها ، بتوضيح آلاء الله سبحانه وتعالى وقدرته ومعجزاته للناس .

(٤)

((مَرجَ البحرين يلتقيان*بينهما برزخ لايبغيان*فبأي آلاء ربكما تُكذبان*يخُرج منهما اللؤلؤ والمرجان*فبأي آلاء ربكما تكذبان)).الرحمن ،الآيات:١٩-٢٣ .

جعل الله بَحر السَماء وبَحر الأرض يلتقيان ،بينهما حاجز وبُعد،لا يُفسِد أحدهما صاحبهُ ،فيبغي بذلك عليه ،ولا يتجاوزان حَدَّ الله الذي حَدّهُ لهما ، فبأي نِعَم ربكما معشَر الجِن والإنس تُكذبان ؟ يخرج من هذين البحرين : اللؤلؤ الذي يخرج من أصداف البحر ، وهو الكِبار ،كما يخرج منه صِغار اللؤلؤ وهو المَرجان، فبأي نِعَم ربكما مَعشر الثّقلين التي أنعم بها عليكم تكذبان؟[٤٩] .

ونقل الصابوني [٥٠] قول ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى ،فقد عنَي الله تعالى بـــ مَـــرجَ البحرين: بحر السماء وبحر الأرض،وذلك انه قال :((يخرُج منهمـــا اللؤلـــؤ والمرجـــان)) واللؤلـــؤ والمرجان إنما يخرج من أصداف بحر الأرض عن قطرْ السماء ، فمعلوم أن ذلك بحر الأرض وبحر السماء .

وناقش الصابوني وعلق ايضاً على قول ابن كثير :وهذا لا يساعده اللفظ ، فانه تعالى قـــال: ((بينهما برزخ لايبغيان))،أي وجعل بَرزخاً ، وهو الحِاجز من الأرض لئلا يبغي هذا على هذا ،وهذا على هذا، فُيفسد كل واحد منهما الآخر ، ومابين السماء والأرض لايسمى ((برزخاً))وحِجراً محجوراً ، فالمقصود هنا بـــ : البحرين : ((الحلو، والمالح)) ، وهو الأوضح لما ورد في سورة الفرقان : ((وهو الذي مَرجَ البحرين هذا عذبُ فرات وهذا ملح أُجاج وجعل بينهما بَرزخاً وحِجراً محَجوراً))٠ الآيـــة : ٥٣ ، وقد وثقنا تفسيرها في الفقرة الثانية من مبحثنا هذا ٠

وقد ناقش المقدسي [٥١] مناقشة مستفيضة مسألة التقاء البحرين،ممهداً لذلك باختلاف المفسرين لهذه الآية حول التقاء مَرجَ البحرين ،اللذَين يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ، فأشارَ إلى أن بحر الصين لا يلقى الرومي ،ومع ذلك فان الإختلاف حول كون البحار سبعة كما وردت في آية ســـابقة ، ســـقطَ وزالَ هنا بقوله : ((يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان))٠

اما بخصوص التقاء البحرين ،فنقل عن جماعة من مشايخ مصر ،حدثوه أن النيل كان يفـــيض في بحر الصين (المحيط الهندي في الأعم الأرجح) إلى وقت قريب من عصر المقدسي (القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي) ، فان قيل تأويلك يوجب التناقض،لان فيه أنهما يلتقيان وأن بينهمـــا علـــى ماذكرت ثلاثة أيام ،وحاشى كتاب الله من التناقض ٠وماتأولناه مستقيم لان التقائهما جريان الحلـــو ، فوق المالح،والبرزخ المنع من اختلاطهما.فالجواب تأويلنا أيضاً مستقيم؛لأننا أعطينا كل معنى حقـــه ، فقلنا الالتقاء ماذكرناه من صب النيل في الصيني وطرف النيل اليوم (في عصر المقدسي) يفيض فـــي الرومي فبالنيل التقيا .

ويقال أن أم موسى عليه السلام أنما طرحَت تابوته في بحر القلزم (الأحمر) ، فخرج في النيل إلى مصر ، مع أن الإلتقاء غير الاجتماعي لان الملتقيين يكون بينهما فصل ومسافة،وما ذهبـــوا إليـــه يسمى اختلاطاً لا التقاء ، فان قيل لما جعلتَ بحار الأعاجم من السبعة بعدما قُلتَ أن الله خاطبهم بمـــا يعرفونه؟

تتضمن الإجابة عن هذا السؤال وجهين ، أحدهما: إن العرب كانت تسافر إلى فارس ،ألاَ ترى أن عمر بن الخطاب(رض) قال:إني تعلمتُ العدلَ من كسرى ، وذكر خشيته وسيرته. وثانيهما: أن من سارَ إلى هَجَر (البحرين)وعبادان لابُد له من بحر فارس وكرمان وتيز كرمان . ألا ترى كثيـــراً مـــن الناس يسمونه إلى حدود اليمن: بحر فارس ، وان أكثر صُناع المراكب وملاحيها فُرس ، وهـــو مـــن عُمان إلى عبادان قليل العرض لايجهل المسافر فيه اتجاهه فان قيل فهلا قلت هذا في بحر القلزم إلـــى موضع الاتساع.فالجواب قد قلنا أن من القلزم إلى عيذاب وما ورائها مفاوز خالية لم يُســـمَع أن هـــذا البحر يُنسَب إلى شي منها ، مع إنا انفصلنا عن هذا في بعض الإجابات.

(٥)

((وما يستوي البحران هذا عذبٌ فرات سائغٌ شرابه وهذا مِلح أجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية ً تلبسونها وترى الفلك فيه مَواخِر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)).فاطر، آية : ١٢ .

وما يعتدل البحران فيستويان ،أحدهما حلو كثير العذوبة، والآخر ملح شديد الملوحة،ومن كل البحار تأكلون السمك ،من الملح والعذِب وتستخرجون الدُر والمَرجان،من الملح الأجاج،وترى السفن في تلك البحار تشق الماء بصدورها لتطلبوا من معايشكم،ولتتصرفوا في تجاراتكم ولتشكروا الله على تسخيره ذلك لكم.(٥٢)

وذكر القرطبي(٥٣) الآية :((وما يستوي البحران هذا عذبٌ فرات)) أن فيها أربع مسائل:قال ابن عباس فرات حلو وأجاجٌ مُر،وأما المالح فهو الذي يجعل فيه الملح،والحلية إنما تُستخرج من الملح،فقيل منهما لأنها مختلطان.

أما تفسير قوله تعالى ((وتَرى الفلك فيه مَواخر))،أي ماء الملح خاصة ولولا ذلك لقال فيهما : وقد مخرت السفينة تمخر إذا شقت الماء،((لتبتغوا من فضله)) :التجارة في الفلك إلى البلدان البعيدة في مدة قريبة،وقيل:ما يستخرج من حلية ويُصاد من حيتانه،((ولعلكم تشكرون)) على ما أتاكم من فَضله،وقيل : على ما أنجاكم من هَوله.

سنشير إلى مفهوم (البحران) في المصادر الجغرافية واللغوية ، فالبحران ثنية بحر ، وهو بلد مشهور بين البصرة وعُمان ، صالحَ أهله رسول الله (ص) وأمرَ عليهم العلاء بن الحضرمي (٥٤) .

والبحران : موضع بين البصرة وعُمان ، والنسَب إليه : بحري وبحراني ، ورجل بحراني منسوب إلى البحرين ، ويقال : هذه البحرين وانتهينا إلى البحرين . قال الأزهري (٥٥):((وإنما ثنوا البحَر لأن في ناحية قراها بحيرة على باب الإحساء وقرى هَجَرْ ،بينها وبين البحر الأخضر[الخليج العربي]عشرة فراسخ...)).

يتضح لنا من هذا النص المهم جداً الذي ذكره الأزهري،أن مفهوم البحرين هذا ينطبق تماماً على جزر البحرين والمسماة قديماً :أوال،المسماة حالياً (مملكة البحرين)،وأطلقت التسمية (البحرين) على المنطقة الواقعة بين بحرين ،هما الخليج العربي الذي كان يسمى في المصادر التراثية العربية سواء اللغوية منها أم الجغرافية بـ:البحر الأخضر ،وبين بحيرة الإحساء ،إذ كانت الإحساء ضمن توابع البحرين وملحقاتها في العصور الإسلامية الأولى.(٥٦)

الاستنتاجات :

اهتم البحث اهتماماً واضحاً بعرض وتفسير الآيات القرآنية المتعلقة بالبحرين ، ولعل مفهوم البحرين خلالها كان واضحاً لا لبَس فيه ، وقد بذلنا جهدنا في الاستنجاد والاستئناس بآراء المفسرين في عصور تاريخية متنوعة ؛ لإغناء هذه الآيات إيضاح ما ورد فيها جهد المستطاع ،فضلاً عن الاستعانة بالمصادر التراثية اللغوية والجغرافية التي أضافت إضافات قيمة لهذا المبحث المتعلق بالبحرين.

أما بخصوص البحرين ومجمع البحرين ومرج البحرين فقد وردت في خمس آيات فقط ، واحدة فقط ذكرت مجمع البحرين واثنتان فقط ذكرتا : مَرَج البحرين ، وواحدة فقط ذكرت : البحرين ، وواحدة فقط ذكرت : البحران .

لقد وقفنا وقفة طويلة عند مجمع البحرين مستعينين بكل المصادر المتيسرة لنا من مصادر التفسير واللغة والجغرافية،وحسبنا أننا أوفينا الموضوع حقه قدر المستطاع ، واجتهدنا بقدر ما تسمح به طاقتنا مستمدين العزم من الله سبحانه وتعالى لإغناء هذا الموضوع المهم،ويمكننا تلخيص الآراء الخاصة بـ : مجمع البحرين،وإجمالها في النقاط الآتية:

١.اجتماع بحر فارس والروم . (مختصر تفسير الطبري ١٦/٢) ، قال قتادة بن دعامة (السدوسي المحدث البصري المتوفى عام ١١٧ هـ) : ((وهو بحر فارس والروم)).
٢.قيل : هو ذراع يخرج من البحر المحيط من شمال إلى جنوب في أرض فارس من وراء أذربيجان ، فالركن الذي لاجتماع البحرين مما يلي بر الشام هو مجمع البحرين .
٣.وقيل : هما بحر الأردن وبحر القلزم .
٤.وقيل : مجمع البحرين عند طنجة ،وقيل انه بإفريقية (تونس).
٥.قال بعض أهل العلم : هو بحر الأندلس من البحر المحيط . القرطبي . الجامع لأحكام القرآن ١٤/١١.

وذكر قدامة بن جعفر أن مقر الخليفة الأموي في قرطبة ، والأندلس نهاية الغرب وبها مجتمع البحرين . الخراج وصنعة الكتابة ص ٢٦٦ (الصفحة الأخيرة).
٦.وقالت فرقة : إنما هما موسى والخضر ، وهذا قول ضعيف . القرطبي . الجامع ١٤/١١.
٧.قال قتادة وغير واحد : هما بحر فارس مما يلي المشرق وبحر الروم مما يلي المغرب .
٨.وقال محمد بن كعب القرظي : مجمع البحرين عند طنجة ، يعني في أقصى بلاد المغرب .ابن كثير. وتفسير القرآن العظيم ٤٠٢/٤.
٩.قيل أن مجمع البحرين هو الصخرة ، الوارد ذكرها في القرآن الكريم . سورة الكهف (١٨) ، آية :٦٣ . راجع : القرطبي . الجامع لأحكام القرآن ١٧/١١.
١٠.مجمع البحرين التقاء بحر السماء وبحر الأرض ، بينهما حاجز وبُعد . مختصر تفسير الطبري ٤١٢/٢ وهامشها .

هذه أبرز آراء المفسرين الثلاثة : ابن جرير الطبري والقرطبي وابن كثير ، فكيف يمكن التوصل إلى رأي راجح بين هذه الآراء والطروحات المتعددة حول مجمع البحرين ؟

وإلى جانب هذه الآراء العديدة ، عرضنا في متن البحث آراء ووجهات نظر الرحالة والجغرافيين ، وهم : ابن رسته (الأعلاق النفيسة) ص٨٩، ٩٦ ، وابن خرداذبة (المسالك والممالك) ص١٧٤– ١٧٥ ، وقدامة بن جعفر (الخراج وصنعة الكتابة) ص ٢٦٦ ، وياقوت الحموي (معجم البلدان) ج٣٤٧/١ ، ج٤٤/٣ ،حول المجمع أو المجتمع أو مجمع ومجتمع البحرين .

ولسنا هنا في معرض إعادة آرائهم بقدر الإشارة إليهم فقط ، إذ يمكن الرجوع إلى هذه المعلومات في المبحث الثاني من بحثنا هذا .

أما بخصوص تسمية البحرين ، فقد أوضحناها في البحث بصورة تفصيلية كافية ، وكذلك أوضحنا معنى وتفسير : مَرَج البحرين ، ويمكننا تلخيص ابرز استنتاجات البحث في الآتي:

١.إن البحر ظاهرة معروفة وواضحة أشار إليها القرآن الكريم وأوضَحَ منافعه وفوائده للناس ، وهي ظاهرة قديمة جداً،وقد أولينا هذا الموضوع أهمية خاصة في المبحث الأول،عند دراستنا البحر والبحرين في التراث اللغوي والجغرافي.
٢.إن مفهوم ومصطلح مجمع البحرين واسع ومتعدد يقع في عدة جهات و مناطق في العالم،منها ما يرتبط بالبحرين الحالية(مملكة البحرين)،وقد درس البحث هذا الأمر جلياً بوضوح وتفصيل كافيين .
٣.إن مرج البحرين يعني التقاء واختلاط بحرين أحدهما عذب فرات سائغ شرابه والآخر ملح أجاج مر.
٤.هناك حاجز أي مانع بين البحرين: الحلو والمُر،لئلا يختلط العذب بالأجاج،وهي من معجزات الله سبحانه وتعالى،حيث يجري العذب إلى جانب المالح دون اختلاطهما.

٥.وردت كلمة (البحران) في القران الكريم،أحدهما عذب فرات والأخر ملح أجاج، وهي توضيح لتسمية (البحرين) نفسها،وذكر البكري وإبن منظور لفظ (بحران) كما أوضحنا في متن البحث،وهو موضع بين البصرة وعُمان،نُرجح انه مملكة البحرين الحالية.

٦.إتضح من خلال البحث أهمية أراء وتفسيرات الجغرافي العربي المسلم المقدسي في كتابه: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،ونظراً لأهميتها أفردنا لها ملحقاً خاصاً بتوثيق نصوص هذه الآراء عن البحار والأنهار، وتفسيره للآيات القرآنية التي ذكرت البحرين ومجمع البحرين ومَرَج البحرين لإتمام الفائدة العلمية،ولإعطاء القارئ فكرة عن آراء واجتهادات المقدسي التي استعنا بها كثيراً في بحثنا،هادفين إلى التوثيق والدقة العلمية وأمانة النقل.

وأخيراً تجدر الإشارة إلى اسم كتاب مطبوع بعنوان : ((مجمع البحرين))،في ستة أجزاء،تأليف الشيخ فخر الدين الطريحي المتوفى عام ١٠٨٥هـ ،منشورات دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر،(بيروت،١٩٨٥م).وهو من أحسن الكتب وقد أبدَعَ في ذلك،إذ جمَعَ فيه بين تفسير لغات غريب القران ولغات الحديث الخاصة،وهو ليس كتاب لغة فحسب،بل هو أشبه شيئ بدائرة معارف للعلوم الإسلامية المتداولة في عصر المؤلف،وهو كتاب يُغني عن الصِحاح والقاموس فيما يتعلق بلغات الكِتاب والسُنة،وبلغ في الاجتهاد كالشمس في رابعة النهار.

وهكذا لا يخلو بحثنا من فوائد لا تحدد،ففيه الكثير من العِبر والدروس البليغة التي زودنا بها كتاب الله العزيز القرآن المجيد،عن البحر ومنافعه وأهواله ومعاناة من كابدوا ركوبه والعمل فيه،فيها كثير من قصص الأمم الخالية أيام سيدنا النبي موسى عليه السلام وفرعون،وقصص كثيرة كان من أبرز رجالها الخضر ويوشع بن نون وغيرهما،موضحين صلتهم بالبحر والبحرين التي قصها علينا القرآن الكريم.

(هوامش البحث وتعليقاته)

(١).الجوهري . الصحاح ٥٨٥/٢ ، مادة (بحر) .
(٢).القرآن الكريم ، سورة القصص (٢٨) ، آية : ٧ .
(٣).سورة الروم (٣٠) ، آية : ٤١.
(٤).تهذيب اللغة ، ج ٥ / ٣٩ ، الحموي. معجم البلدان ١/ ٣٤١ ،ابن منظور . لسان العرب ٤١/٤ – ٤٢ ، ٤٤ ، مادة (بحر) .
(٥).الجوهري ، الصحاح ٥٨٦/٢ .
(٦).الأزهري . تهذيب اللغة ج٤٢/٥،ابن منظور . لسان العرب ٤٦/٤ .
(٧).المصدر نفسه ، ج ٥ / ٣٩ ، راجع أيضاً : الحموي .معجم البلدان ٣٤١/١، ابن منظور . لسان العرب . ٤٢/٤–٤٤.
(٨).المسالك والممالك ص ٣١ ، وأسهب في الحديث عن بحر فارس ص ٢٩ – ٣١ .
(٩).صورة الأرض ص ٢٤١ .
(١٠). المصدر نفسه ص ٤٨ – ٦٣ ، راجع أيضاً:المقدسي ، أحسن التقاسيم ص ١٦– ١٩ .
(١١). المصدر نفسه ص ٢٤٤ .
(١٢). إبراهيم ، د.محمد كريم . البحرين في مؤلفات جغرافيي القرنين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين. المحور الجغرافي ، مجلة الوثيقة ، العدد (٣٥) ، ص ٩٠ – ١٠١ .
(١٣).معجم البلدان ٣٤٧/١ .
(١٤).صفة بلاد اليمن ... (تاريخ المستبصر) ، ص ٣٠٠ – ٣٠١ .
(١٥). الجوهري.الصحاح٥٨٥/٢.
(١٦). ابن منظور.لسان العرب٤٢/٤،٤٦.
(١٧).معجم مااستعجم٢٢٨/١.

(١٨). الأزهري.تهذيب اللغةج٥/٤٠،ابن منظور.لسان العرب٤/٤٦.
(١٩). مختصر تفسير الطبري ج٢/١٦.
(٢٠). الجامع لأحكام القرآن ج١١/١٦-١٧.
(٢١). المصدر نفسه ١١/١٣-١٤.
(٢٢). المصدر نفسه والصفحة ، راجع عن تفاصيل تفسير الآية :المصدر نفسه١١/١٤-١٧.
(٢٣). تفسير القرآن العظيم ج٤/ ٤٠٢ .
(٢٤). ذكر قدامة بن جعفر أن مجتمع البحرين في بلاد الأندلس وعاصمتها قرطبة ، ووصف الأندلس بأنها : نهاية الغرب.الخراج وصنعة الكتابة ص٢٦٦،وذكر المقدسي أن البحر (المتوسط) يضيق في حدود طنجة ، وأضاف أنه سمع جماعة يذكرون ذلك .أحسن التقاسيم ص١٤.
(٢٥). ابن كثير.تفسير القرآن العظيم ج٤/٤٠٢-٤٠٣.
(٢٦). المصدر نفسه والصفحات.
(٢٧). محقق مختصر تفسير الطبري ج٢/١٦ هامش.
(٢٨). أحسن التقاسيم ص١٩.
(٢٩). الأعلاق النفيسة ص٨٩.
(٣٠). المصدر نفسه ص٩٦.
(٣١). المسالك والممالك ص١٧٤،وعلى ص١٧٣،كان العنوان : (باب مخارج الأنهار) .
(٣٢). ورد ذكره في القرآن الكريم . سورة الكهف (١٨) ، آية :٦٠.
(٣٣). المسالك والممالك لابن خرداذبة ص١٧٥ هامش المحقق . والمرجح أنه : مجمع البحرين .
(٣٤). المصدر نفسه ص١٧٥.
(٣٥). الخراج وصنعة الكتابة ص٢٦٦.
(٣٦). الجامع لأحكام القرآن ١١/١٤.
(٣٧). رحلة الغرناطي (تحفة الألباب ونخبة الإعجاب) ، ص٥٢.
(٣٨). المصدر نفسه ص٨٣-٨٤.
(٣٩). المصدر نفسه ص٨٩.
(٤٠). معجم البلدان ج٣/٤٤.
(٤١). سورة الفرقان (٢٥) ، آية:٣٨.
وقال تعالى: ((كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود)).سورة ق(٥٠)،آية:١٢.
(٤٢). معجم البلدان ج٣/٤٤.
(٤٣). مختصر تفسير الطبري ٢/١١٤.
(٤٤). الجامع لأحكام القرآن ١٣/٦٢-٦٣.
(٤٥). أحسن التقاسيم ص١٦.
(٤٦). المصدر نفسه ص١٧،١٩(والنص الأخير من ص١٩) .
(٤٧). مختصر تفسير الطبري ٢/١٤٤.
(٤٨). الجامع لأحكام القرآن ١٣/٢٣٠.
(٤٩). مختصر تفسير الطبري ٢/٤١٢.
(٥٠). محقق مختصر تفسير الطبري ج٢/٤١٢ (هامش المحققين وتعليقاتهما) .
(٥١). أحسن التقاسيم ص١٧-١٩.
(٥٢). مختصر تفسير الطبري ٢/٢٣١.
(٥٣). الجامع لأحكام القرآن ١٤/٣٢٢-٣٢٣.
(٥٤). البكري.معجم ماستعجم ١/٢٢٨.
(٥٥). الأزهري.تهذيب اللغة ج٥/٤٠،راجع أيضاً :الحموي . معجم البلدان ١/٣٤٧ ،ابن منظور.لسان العرب٤/٤٦.
(٥٦). راجع بحثنا:البحرين (المحور الجغرافي) ، ص١٠٢-١٠٧ ، ١١٩-١٢٠.

مصادر البحث ومراجعه

١.القرآن الكريم.
* ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن علي النصيبيني ، (ت:٣٦٧هـ / ٩٧٧م) .
٢. صورة الأرض ، منشورات دار الكتاب الإسلامي ، (القاهرة ، بدون تاريخ) .
* ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ، (ت:٣٠٠هـ / ٩١٢م) .
٣. المسالك والممالك ، باعتناء : دي غويه ، مطبعة بريل ، (ليدن ، ١٨٨٩م) .
* ابن رسته ، أبو علي احمد بن عمر ، (كان حياً عام ٢٩٠هـ / ٩٠٣م) .
٤.الأعلاق النفيسة ، المجلد السابع ، باعتناء : دي غويه ،مطبعة بريل ،(ليدن ،١٨٩١ م) .
* ابن كثير ، الحافظ عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر ، (ت: ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) .
٥.تفسير القرآن العظيم ، ج٤ ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، (بيروت ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) .
* ابن المجاور البغدادي النيسابوري ، أبو بكر بن محمد بن مسعود بن علي بن أحمد ،(توفي بعد عام ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) .
٦.صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسماة : تاريخ المستبصر ، قسم ١-٢ ، باعتناء وتصحيح : اوسكر لوفغرين ، منشورات المدينة ، توزيع شركة دار التنوير للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، (بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م) .
* ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، (ت:٧١١هـ/ ١٣١١م) .
٧.لسان العرب ، ج٤،منشورات دار صادر ،الطبعة الأولى ،(بيروت ،١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) .
* أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي ، (ت:٣٢٠هـ / ٩٣٣م) .
٨.نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة (مطبوع بعد كتاب : المسالك والممالك لابن خرداذبة – بصفحات متسلسلة ص١٨٤-٢٦٦) ، باعتناء : دي غويه ، مطبعة بريل ، (ليدن ، ١٨٨٩م) .
* الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد ، (ت:٣٧٠هـ / ٩٨٠ م) .
٩.تهذيب اللغة ، ج٥ ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي والأستاذ محمود فرج العقدة ، مراجعة : الأستاذ علي محمد البجاوي ، (القاهرة ، ٣٨٤هـ / ١٩٦٤م) .
*الاصطخري ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ، المعروف بـ:الكرخي ، (ت:٣٤١/٩٥٢م) .
١٠.المسالك والممالك ، تحقيق : د.محمد جابر عبد العال الحيني ، مراجعة : محمد شفيق غربال ، (القاهرة ، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م) .
* البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ، (ت:٤٨٧هـ /١٠٩٤م) .
١١.معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، ج١ ،تحقيق وضبط : مصطفى السقا ، عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ، (بيروت ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .
*الجوهري ، أبو نصر إسماعيل بن حماد ، (ت:٣٩٣هـ / ١٠٠٢م) .
١٢.الصِحاح تاج اللغة وصِحاح العربية ، ج٢ ، تحقيق : احمد عبد الغفور عطار ، منشورات دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة ، (بيروت ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) .
*الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ، (ت:٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) .
١٣.معجم البلدان ، ج١،٣،٥ ، منشورات دار صادر، الطبعة الثانية / لونين ، (بيروت ، ١٩٩٥م) .
*الشمري ، أ.د.محمد كريم إبراهيم .
١٤.البحرين في مؤلفات جغرافيي القرنين الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين / المحور الجغرافي ، مجلة الوثيقة ، العدد (٣٥) ، السنة الثامنة عشرة ، مركز الوثائق التاريخية بدولة البحرين ، (المنامة ، رمضان ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م) .
* الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، (ت:٣١٠هـ / ٩٢٢م) .
١٥.مختصر تفسير الطبري ، المسمى : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج١-٢ ، اختصار وتحقيق : الشيخ محمد علي الصابوني والدكتور صالح أحمد رضا ، منشورات دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع ،(القاهرة ، ١٤٠٢هـ) .
* الغرناطي ،أبو حامد محمد بن عبد الرحيم ،(ت:٥٦٥هـ /١١٦٩م).

١٦. رحلة الغرناطي (تحفة الألباب ونخبة الإعجاب ورحلة إلى أورپة وآسية)،حررها وقدم لها : قاسم وهب،منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر / بيروت & دار السويدي للنشر والتوزيع/ أبو ظبي ،الطبعة الأولى ،(بيروت،٢٠٠٣م).
* القرطبي ، الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، (ت:٦٧١هـ / ١٢٧٢م) .
١٧.تفسير القرطبي ، المسمى : الجامع لأحكام القرآن ، ج١١-١٤ ، ١٦، تحقيق : د.محمد إبراهيم الحفناوي ، منشورات دار الحديث ، الطبعة الأولى ، (القاهرة ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) .
* المقدسي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري ، (ت:٣٨١هـ / ٩٩١م) .
١٨.أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، باعتناء : دي غويه ، مطبعة بريل ، الطبعة الثانية ، (ليدن ، ١٩٠٦م) .

ملاحق البحث

ملحق رقم (١)

مفردات البحر ومتعلقاته في القرآن الكريم

إتماماً للفائدة العلمية وتحقيقاً لتيسير الاطلاع على ورود كلمات : البحر والبحرين وأبحر وبحار وبَحيرة في القرآن المجيد ، فضلاً عن ورود كلمات وألفاظ ذات علاقة ودلالات ترتبط بعنوان البحث ، وجدنا من الضروري جداً وضع ملاحق خاصة لتلك الكلمات ، وتوثيق ورودها في كتاب الله العزيز ؛ لتسهيل وتيسير إطلاع جمهور القراء الكرام ورجوعهم إليها عند الحاجة ، ومن الله التوفيق والسداد ، انه نعم المولى ونعم النصير .

(١)

البحر / والبحر

البقرة : ٥٠،١٦٤.المائدة :٩٦.الأنعام:٥٩،٦٣،٩٧.الأعراف :١٣٨، ١٦٣.يونس :٢٢،٩٠ .إبراهيم :٣٢.النحل :١٤.الاسراء٦٦،٦٧،٧٠ .الكهف :٦١،٦٣،٧٩،١٠٩ (مرتين) .طه :٧٧.الحج:٦٥.الشعراء :٦٣.النمل:٦٣.الروم:٤١.لقمان:٢٧،٣١ . الشورى:٣٢.الدخان:٢٤.الجاثية:١٢.الطور:٦.الرحمن:٢٤.

وردت كلمة البحر (والبحر) في القرآن الكريم :٣٢مرة .

(٢)

بحر

النور:٤٠.

(٣)

أبحر

لقمان:٢٧.

(٤)

البحار

التكوير:٦.الانفطار:٣.

(٥)

البحران

فاطر:١٢.

(٦)

البحرين

الكهف:٦٠.الفرقان:٥٣.النمل:٦١.الرحمن:١٩.

(٧)

بَحيرة

المائدة:١٠٣

(٨)

الجَوار

الشورى:٣٢.الرحمن:٢٤.التكوير:١٦.

(٩)

السفينة

الكهف:٧١،٧٩(سفينة).العنكبوت:١٥.

(١٠)

الطوفان

الأعراف:١٣٣.العنكبوت:١٤.

(١١)

الغرق

يونس:٩٠.

(١٢)

الفلك(بضم الفاء)

البقرة:١٦٤.الأعراف:٦٤.يونس:٢٢،٧٣.هود:٣٧،٣٨.ابراهيم:٣٢.النحل:١٤.الإسراء:٦٦.الحج:٦٥.
المؤمنون:٢٢،٢٧،٢٨.الشعراء ١٩٩.العنكبوت:٦٥.الروم :٤٦.لقمان:٣١.فاطر:١٢.ياسين :٤١.
الصافات :١٤٠. غافر(المؤمن) :٨٠.الزخرف :١٢ .الجاثية:١٢.

(١٣)

الموج/موج

يونس:٢٢.هود:٤٢،٤٣.النور:٤٠ (مرتين).لقمان:٣٢.

(١٤)

اليم

الأعراف:١٣٦.طه:٣٩(مرتين)،٧٨، ٩٧ . القصص: ٧ ، ٤٠.الذاريات:٤٠.

(١٥)

ألفاظ أخرى

أغرقنا:الأعراف:٦٤. يونس :٧٣.الشعراء : ٦٦،١٢٠.العنكبوت:٤٠.الصافات :٨٢ .
أغرقناهم: الأعراف:١٣٦.الأنبياء:٧٧.الفرقان:٣٧.الزخرف:٥٥.
جارية (عين) :الغاشية : ١٢.
الجارية : الحاقة :١١.
الجاريات: الذاريات :٣.
جَرينَ: يونس:٢٢.
الساحل : طه :٣٩.
العِشار : التكوير: ٤.
مجراها ومرساها : هود:٤١.
مغرقون:هود:٣٧. المؤمنون:٢٧. **المغرقين** :هود :٤٣.
نغرقهم :ياسين٤٣.

ملحق رقم (٢)

تصور الجغرافي المقدسي [١] عن: مرج البحرين ومجمع البحرين وغيرهما من أمور البحر والبحرين – البحران . (مقتبس من العنوان : ذكر البحار والأنهار) :

((...أخبرنا الفقيه أبو الطيب عبد الله بن محمد الجَلال بالري . قال: حدثنا أحمد بن محمد بن يزيد الاستراباذي. قال: حدثنا العباس بن محمد. قال: حدثنا أبو سلمة .قال: حدثنا سعيد بن زيد. قال: حدثنا ابن يسار عن عبد الله بن عمرو. قال: أن الله لما خلق بحر الشام أوحى إليه أني خلقتك وأني حامل فيك عباداً لي يبتغون من فضلي يسبحونني ويقدسونني ويكبرونني ويهللونني فكيف أنت صانع بهم. قال: رب إذاً أغرقتهم. قال :اذهب فقد لعنتك، وسأقل حليتك وصيدك. وأوحى إلى بحر العراق مثل ذلك. فقال: رب إذاً أحملهم على ظهري فإذا سبحوك سبحتك معهم وإذا قدسوك قدستك معهم وإذا كبروك كبرتك معهم. قال: اذهب فقد باركتُ فيك سأكثر حليتك وصيدك . وهذا دليل على أن ليس إلا بَحران.

ولا أدري هذان البحران يقلبان [يصبان] في المحيط أم يخرجان منه ، وقرأت في بعض الكتب إنهما يخرجان منه وهما إلى القلب فيه أقرب ، لأنك إذا خرجت من فرغانة لا تزال تنحدر إلى مصر ثم إلى أقصى المغرب. وأهل العراق يسمون العجم أهل فوق وأهل المغرب أهل أسفل. فهذا يؤيد ما ذهبنا إليه ويدل على إنها أنهار اجتمعت فصَبت في المحيط والله أعلم .

وجعل أبو زيد [البلخي] البحار ثلاثة، زاد المحيط ولم ندخله نحن في الجملة، لأنه كما يقال مستدير بالعالم كالحلقة لايُعرف له غاية ولا نهاية . وأما الجيهاني فإنه جعلها خمسة ،زاد بحر الخزر وخليج القسطنطينية. ونحن اقتصرنا على ما أنبأ الله في كتابه حيث يقول : ((مرج البحرين يلتقيان* بينهما برزخ لايبغيان* يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان))[٢] والبرزخ من الفرما إلى القلزم مسيرة ثلاثة أيام ، فإن قيل إنما أراد الله تعالى بالبحرين العذب والمالح لأنهما لايختلطان كما قال : ((وهو الذي مرج البحرين))[٣] –الآية– فالجواب أن اللؤلؤ والمرجان لايخرجان من الحلو والله يقول منهما ولا خلاف بين أهل العلم أن اللؤلؤ يخرج من الصيني [المرجح انه : المحيط الهندي] والمرجان من الرومي. [المرجح أنه : البحر المتوسط] فعرفنا انه إنما أراد هذين البحرين .فان قيل البحار سبعة لأن الله قال عز وجل : ((ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر))[٤]. وزاد المقلوبة [٥] والخوارزمية [٦]، فالجواب لم يقل الله تعالى إن البحار سبعة وإنما ذكر بحر العرب، وقال ولو أن سبعة مثله جُعِلت أيضا مِداداً . كما قال : ((ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه)) [٧] .مع إنه يجب بهذا الدعوى أن تكون ثمانية .وأيضا فإنا نلتزم هذا السؤال وننتصب فيه فنقول أن البحر هو بحر الحجاز والسبعة : بحر القلزم وبحر اليمن وبحر عُمان وبحر مكران وبحر كرمان وبحر فارس وبحر هجر، [البحرين] فهذه ثمانية كما نطقت الآية .

فإن قيل يلزمك بهذا التأويل أن تكون أكثر من عشرة لأنك تركت بحر الصين وبحر الهند وبحر الزنج .فالجواب من وجهين : أحدهما أن الله تعالى خاطبَ العرب بما يعرفونه ويعاينونه ليؤكد عليهم الحجة ،وما كانت أسفارهم إلا في هذه البحار. ألا ترى أن هذا البحر بهذه الاسامي يدور على ديار العرب من القلزم إلى عبادان .والوجه الآخر لاننكر أن يكون البحار كثيرة وذكر الله تعالى منها في هذه الآية ثمانية .فان قيل هذا يرجع عليك ويلزمك أن البحار تجوز أن تكون سبعة ،وإنما ذكر الله منها في تلك الآية بحرين . فالجواب : هذا لايشبه ذاك ؛ لان الله تعالى قال في تلك: ((مرج البحرين يلتقيان)). فأشار إلى بحرين معهودين، والألف واللام إذا لم يكونا للجنس فإنما هما للتعريف ، وقال في هذه : ((يمده من بعده سبعة أبحر))، ولم يدخل فيه حرف التعريف. فيجوز أن يكون أراد به سبعة من جماعة. كما قال : ((سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً)) [٨] وأيام الله كثيرة. وقال في آية أخرى : ((وعلى الثلاثة الذين خلفوا)) [٩] فلا يجوز بان يقال أنهم كانوا أكثر. فان قيل

لما وقع الاختلاف في تفسير هذه الآية ورأينا بحر الصين لايلقى الرومي سقط الاحتجاج بها وسلمت لنا الآية الأخرى ، فوجَبَ أن تكون البحار سبعة . فالجواب قد ارتفع الاختلاف بقوله : ((يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)) .

وأما الالتقاء فحدثني جماعة من مشايخ مصر أن النيل كان يفيض في بحر الصين إلى قريب. فان قيل تأويلك يوجب التناقض لأن فيه إنهما يلتقيان وإن بينهما على ماذكرت ثلاثة أيام، وحاشى كتاب الله من التناقض. وما تأولناه مستقيم لان التقاءَهما جريان الحلو فوق المالح والبرزخ المنع من اختلاطهما. فالجواب تأويلنا أيضاً مستقيم لأنا أعطينا كل معنى حقه فقلنا الالتقاء ماذكرناه من صب النيل في الصيني وطرف النيل اليوم [في عصر المقدسي] يفيض في الرومي فبالنيل التقيا .

ويقال أن أم موسى (عم) إنما طرحت تابوته في بحر القلزم فخرج في النيل إلى مصر، مع أن الالتقاء غير الاجتماع لان الملتقيين يكون بينهما فصل ومسافة، وما ذهبوا إليه يسمى اختلاطاً لا التقاءً . فان قيل لم جَعلتَ بحار الأعاجم من السبعة بعدما قلتَ أن الله خاطبهم بما يعرفونه . فالجواب فيه من وجهين : أحدهما أن العرب قد كانت تسافر إلى فارس، ألا ترى أن عمر بن الخطاب (رض) قال: إني تعلمت العدل من كسرى، وذكر خشيته وسيرته . والآخر أن من سار إلى هَجَر وعبادان لابد له من بحر فارس وكرمان وتيز كرمان ، أوَ لا ترى إلى كثير من الناس يسمونه إلى حدود اليمن: بحر فارس ، وان أكثر صُناع المراكب وملاحيها فرس ، وهو من عُمان إلى عبادان قليل العرض لايجهل المسافر فيه جهته. فان قيل : فهَلا قلتَ هذا في بحر القلزم إلى موضع الاتساع .فالجواب قد قلنا أن من القلزم إلى عيذاب وما وراءها مفاوز خالية لم يُسمع أن هذا البحر يُنسب إلى شيىء منها مع أنا قد انفصلنا عن هذا في بعض الجوابات . فان قيل كيف يجوز أن تجعل بحراً واحداً ثمانية أبحر. فالجواب : أن هذا مشهور عند كل من ركب البحر ، ألا ترى كيف سمى الله بحر الروم بحرين، حيث يقول: ((وإذ قال موسى لفتاه لاأبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو امضي حقبا* فلما بلغا مجمع بينهما ...))[١٠] – الآية– وكان هذا كله بسواحل الشام وأعلام ذلك ظاهرة وصخرة موسى ثمَ بيّنة .

فان قيل فلِمَ لا قلتَ أن معنى قوله : ((مَرجَ البحرين)) هو بحر واحد أيضاً . فالجواب : هذا لايجوز ؛ لأن الله تعالى قال : ((بينهما برزخ)) والبرزخ حاجز. مع أنا نقول لهذا المخالف إن كان الأمر على ما تزعم فأرنا ثمانية بحار في الإسلام. فإن ذكر المحيط قيل له ذلك على تخوم العالمَ بغير نهاية تعرف ،وان ذكر القسطنطيني قيل : ذاك خليج من الرومي يخرج خلف إصقلية ، ألا ترى أنهم أبداً يغزون فيه ، فان ذكر الخزري قيل له : تلك بحيرة.ألا ترى أن أكثر الناس يسمونها : بحيرة طبرستان ، أو لم تر إلى قرب أطرافها ، فان قال المقلوبة (٥) والخوارزمية (٦) ، قيل له من جعل هاتين من هذه الجملة لزمهُ أن يجعل بُحيرات الرحاب وفارس وتركستان فيجاوز العشرين . فان انصفَ رجع إلى قولنا . والله اعلم)) .

هوامش ملحق رقم(٢)

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص١٥-١٩.
(٢) سورة الرحمن (٥٥) ، الآيات :١٩-٢٠،٢٢.
(٣) سورة الفرقان (٢٥) ، الآية:٥٣ .
(٤) سورة لقمان (٣١) ، الآية :٢٧ .
(٥) تعرف حالياً بـ:البحر الميت .
(٦) الخوارزمية : بحر آرال .
(٧) سورة الزمر (٣٩) ، الآية :٤٧.
(٨) سورة الحاقة (٦٩) ، الآية :٧ .
(٩) سورة التوبة (٩) ، الآية :١١٨ .
(١٠) سورة الكهف (١٨) ، الآيتان :٦٠-٦١.

ملحق رقم (٣)

نركز في هذا الملحق على توثيق رأي حديث من خلال دراسة الدكتورة تحفة جعفر في كتابها المعنون: (رحلة مع اللغز القرآني) ، ملخصه أن مجمع البحرين هو المنطقة التي يلتقي فيها البحر المتوسط ، المسمى قديماً : بحر الروم مع المحيط الأطلسي ، المسمى قديماً : بحر الظلمات كما يسمى : البحر الأسود ، عند جبل طارق ، أو ما تُسمى : صخرة طارق بن زياد ، هذه الصخرة التي تطل على بحر الزقاق ، أو مضيق جبل طارق .

بالأمس كانت الصخرة ، وكان المضيق جزءاً من تاريخ سابق ، امتلأ بالبطولات والأمجاد التي سطرها أجدادنا العرب بعد ظهور الاسلام وانتشاره ، واليوم أصبحت مجرد ذكريات نعُود الى صفحاتها ونتوقف عندها لنتذكر ونعيش أحداثها الرائعة ، كلما نظرنا الى واقعنا الممزق ، كل قطعة من هذه الصخرة العاتية وكل شيء من فوقها وحولها وعند سفحها ، يحكي لنا صفحة من هذا السجل الرائع الذي دخل التاريخ ودخلنا معه من أوسع أبوابه ، منذ قرون بعيدة مضت ، قبل أن يصيبنا ما أصابنا .

يوصَف جبل طارق بانه صخرة هائلة كأنها ظهر فيل عظيم وسط الماء لايصلها بالبر إلا شريط ضيق ، صخرة مازالت تحمل اسم طارقنا العظيم / طارق بن زياد ، نتوء صخري هائل في شبه جزيرة إيبيريا ، أو كما سميت في الازمنة القديمة : أعمدة هرقل ، وهي المنفذ الوحيد من البحر المتوسط الى المحيط الأطلسي وبالعكس، أوهكذا كانت قبل افتتاح قناة السويس ، فكانت السفن تدخل البحر وتدور حول نفسها ثم تعود من حيث أتت ، فقد كان البحر المتوسط أشبه مايكون ببحيرة كبيرة ذات منفذ واحد يطل عليها الجبل من جانب، ومدينة طنجة المغربية من الجانب الآخر . وستكون لنا وقفة خاصة عند صخرة طارق هذه التي تعد موضعاً من مواضع مجمع البحرين ، كما يتضح لنا من خلال المعلومات التي سنثبتها في هذا الملحق ، وهورأي من الآراء المرجحة بخصوص تحديد موضع مجمع البحرين الوارد ذكره في القرآن الكريم .

مجمع البحرين من الناحية العلمية[١]:

يبلغ طول مضيق جبل طارق حوالي ٥٣ كم ما بين رأس ترافالجار (الطرف الأغر) ورأس سبارتل من جهة الغرب ،وصخرة جبل طارق وسبتة من جهة الشرق . أما عرضه عند النهاية الغربية فتبلغ ٣٨ كم بينما نهايته الشرقية تبلغ ٢١ كم .

وعلى الرغم من أن صخرة جبل طارق تقع على نتوء بري ممتد إلى البحر ، وهي تقع في نهاية هذا اللسان البري وتمثل بوابة مضيق جبل طارق من جهة الشرق. ويخيل إليك وأنت تنظر صورة المضيق كأن الصخرة قد مثلت بحق الملتقى بين البحر والمحيط ، إلا أن هناك سبباً آخر أعظم شأناً من هذا السبب جعل العلماء ينسبون ملتقى البحرين إلى هذه الصخرة : وهو ان صخرة جبل طارق لها سلسلة جبلية ممتدة في قاع المضيق مكونة سداً داخلياً تصل نهايته إلى أسفل سطح الماء ، وهذا السد عبارة عن جبل يرتفع من القاع بين المحيط والبحر المتوسط ، يبلغ ارتفاعه نحو ١٤٠٠ متر وتنتهي قمته على نحو ٣٢٠ متراً تحت سطح البحر ، فهو بذلك يشكل بالفعل سداً قائماً يفصل بين البحر والمحيط ولا يترك إلا اتصالاً حراً بالقرب من السطح . أي أن عمق المياه في هذه المنطقة يبلغ ٣٢٠ متراً فقط .

وهنا نطرح عدة تساؤلات ، هي :

أولاً: أليس مضيق جبل طارق من البُعد بحيث يتعذر على موسى (عليه السلام) أن يبلغه في ذلك الزمان، خصوصاً وان مضيق باب المندب أقرب لمصر بلد كليم الله . فلماذا لايكون هذا مدعاة لنا أن نفكر بالمضيق الأقرب على أنه مجمع البحرين ؟ وهل كانت رحلة موسى (عليه السلام) إلى مجمع البحرين بحرية أم أنه قطعَ كل هذه المسافة مشياً على الأقدام !

ثانياً: ان الذي دعانا إلى هذا البحث ومن ثم التعرف على مجمع البحرين والصخرة هو (أل) التعريف الابتدائية، فما الحكمة إذن من ورود كلمة (السفينة) معرفة ابتداء في قوله تعالى: ((فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة)) خصوصاً وأن لفظتي: (غلام) (وجدار) وردتا نكرة ثم عُرفت بعد ذلك بقوله تعالى: (وأما الغلام) ، (وأما الجدار) في حين وردت لفظة(السفينة) معرفة في الموضعين ؟ فهل هذه السفينة خالدة خلود المجمع والصخرة حتى تُعرفّ بـ (أل) كسابقتيها ؟!

ثالثا: ورد في قوله تعالى :((فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا))، فلماذا هذا التعب والنصب بعد أن جاوزا الصخرة ؟هل هو طريق متعب كأن يكون صحراوياً شديد الحرارة أو طريقاً وعراً من المرتفعات بحيث يستوجب النصب ؟! ولماذا حينما أرادا العودة أخذا يقصان الطريق بتتبع الأثر كما في قوله تعالى :((فارتدا على آثارهما قصصاً)) ؟ صحيح أن آثار الأقدام تنطبع على الطرق الصحراوية ، لكن درجة الحرارة صيفاً في منطقة جبل طارق لاتزيد على ٢٨ درجة مئوية وفي الشتاء لاتهبط بحال عن ١٦ درجة مئوية[٢]، فهي ليست بالمنطقة الحارة التي توجب النصب ! وعلى فرض انه كان طريقاً وعراً من المرتفعات، فالمرتفعات عادةً تكون صخرية الموطأ لاتنطبع فيها آثار أقدام ، فكيف إذن ارتدا على آثارهما قصصا ؟!! ثم لماذا هذا النَصَب من مرتفعات الأندلس دون مرتفعات المغرب من الجهة الأخرى !!

يبعد مضيق جبل طارق عن مصر ٣٤٢٠ كم ، بينما يبعد مضيق باب المندب الذي يربط بين البحر الأحمر والبحر العربي ٢٣٥١ كم . وإن كان الأخير يبعد ثلثي بُعد الأول عن مصر، إلا أن بُعده يعتبر شاسعاً قياساً لزمن موسى (عليه السلام) فلا يتبادر إلى ذهننا بأن الأخير أي باب المندب قريب لبلد موسى (عليه السلام) . ولكي نفهم سر بلوغ موسى(عليه السلام) مجمع البحرين ، وما إذا كان مجمع البحرين أي مضيق جبل طارق معروف عندهم أم لا! ، وجب علينا دراسة الحضارة التي واكبت عهد موسى (عليه السلام) وفهم طبيعتها.

الصخرة المجوفة Hollow stone [٣]

تدعى صخرة طارق بن زياد قديماً بـ:الصخرة المجوفة؛ وذلك نسبة إلى المغارات العديدة فيها ، فمسؤولو متحف جبل طارق يشرفون حالياً بما لايقل عن ١٤٠ مغارة داخل الصخرة – وهذا يعني أنها لاتحتوي على مغارة واحدة كما توهمنا سلفاً – ومن بين تلك المغارات المشهورة والتي بمثابة وحدة سيطرة عند الفينيقيين هي مغارة كورام Gorham's Cave: وهي مغارة للعبادة كان يسكنها كاهن وظيفته مراقبة محتويات السفينة والتعرف على طاقمها ،من خلال لغتهم ومظهرهم وذلك عندما تزور هذه السفينة مغارة كورام احتماءً بها من الرياح الجنوبية الغربية ،حيث تمثل صخرة طارق بن زياد عارضاً لتلك الرياح ،إذ تتكثف الغيوم على مساحة ثلثي ارتفاع الصخرة ، لذا كثيراً ما تلتجئ السفن إلى مغارة كورام ،التي تكاد تقع بمستوى سطح البحر أيام الفينيقيين ، ممتدةً إلى مسافة ٦٠ قدما داخل الصخرة . وعلى كل سفينة تريد المرور خلال مضيق جبل طارق إلى المحيط الأطلسي عليها أولاً أن تستلم تصريحاً من مغارة كورام ، وإذا ما أخطأت أو أفلتت السفن المتطفلة من هذه المغارة ،هوجمت بحرياً من قبل مستعمرات أخرى تقع عند مخرج المضيق .

كيف كانت علامة الحوت؟[٤]

هناك احتمالان :

الاحتمال الأول : أن يكون الحوت قد رافقهما منذ بداية سفرهما وهما يتتبعان مسيرته ، وكانت العلامة أن يفقداه في المكان الذي يوجد فيه العبد الصالح ،وهذا احتمال مردود للأسباب الآتية :

١– ليس من المعقول أن يكون الحوت دليلاً لسفرتهما وكأنه بوصلة في يد بحار، ثم ينسى موسى وفتاه هذا الدليل بكل سهولة ليستئنفا الرحلة من عند الصخرة من دون ذاك الدليل !،فهل يُعقل أن يبحر البحار في جهة لايعرفها من دون أن يستعين ببوصلته!

٢- ليس من السهل السير على الساحل وعلى طول الطريق ، فهناك سواحل لايمكن أن يرتادها الشخص لأسباب عديدة منها:لوعورتها ولحِدّة صخورها التي تمزق القدم .

إذن لايبقى أمامنا إلا الاحتمال الثاني .

الاحتمال الثاني : وهو أن يجدا حوتاً عند مجمع البحرين ومتى ما فقداه فإنها نقطة اللقاء مع هذا العبد الصالح ، خصوصاً إذا عرفنا أن مجمع البحرين كان معروفاً لدى ذلك العصر بهذا الاسم ، وهم يعرفونه حق المعرفة وليس هذا وحسب، بل أن صخرة طارق بن زياد كانت تدعى عند الفينيقيين Calp وترجمتها إلى الانكليزية: HOLLOW STONE ، وتعني: الصخرة المجوفة .

أما قوله تعالى: ((نسيا حوتهما)) ، فمثاله قولك لصاحبك وأنت تريد توديعه في المرفأ الذي ترسو فيه عدّة سفن (أين سفينتك) فليس يفهم من سؤالك هذا بان السفينة تعود لملكية صاحبك ،ومثاله أيضاً (أين طائرتك) ، فليس يُفهم بأن الحوت تعود ملكيته لموسى (عليه السلام) وفتاه ،وإنما نُسب إليهما لأنه كان بمثابة العلامة لهما.

الحيتان ومضيق جبل طارق:

هناك حديث مامضمونه : الآخرة فوق الوصف والدنيا مادون الوصف .

كم رائع هذا الحديث ! ماتيقنت شي في القران الكريم رحتُ أبحث عنهُ ، إلا ووجدته فوق تصوري بأضعاف مضاعفة بل لم يخطر على بالي أبداً!! كُنت أبحث عن وجود الحيتان في البحر المتوسط ظناً مني أن الحوت وهو في حالة عبوره من البحر إلى المحيط أو بالعكس قد رآه فتى موسى ، وكنت أحسب أن الحيتان حالياً قد لاتكون موجودة في البحر المتوسط كما في السابق؛ وذلك بسبب الحملة البشرية ضد الحيتان التي هدّدتها بالانقراض ، مما أجبرتها على تغيير وجهتها إلى البحار البعيدة عن متناول الصيادين ، وكنت أبحث عن وجود الحيتان قديماً أكثر من وجودها حديثاً ، وقد نلت مرامي ، وعرفت أن الحوت كانت له مواسم للهجرة من المحيط الأطلسي إلى البحر المتوسط ومن ثم رجوعه إلى أماكن توطنهِ في المحيط ،وقد صدق ظني الأول الذي استندت عليه بان مضيق جبل طارق هو مجمع البحرين ، وعرفت أيضاً أن البحر المتوسط تكثر فيه وجود الحيتان ، وليس هذا وحسب بل أن ظاهرة الحيتان الميتة والملقاة على الساحل Beached whale ، خصوصاً في منطقة يافا الساحلية الفلسطينية التي تمثل أقدم ميناء يعود تاريخه إلى ٤٠٠٠ سنة ، ظاهرة تكثر جداً في هذه المنطقة قديماً وحديثاً ، وهذا يذكرنا بقصة يونس (عليه السلام).

ولكن أتاني ما ليس بالحسبان ، فبينما كنت أبحث عن صورة مناسبة لمضيق جبل طارق في الانترنت ، فإذا بي أجد صوراً لدلافين تتوسط الصور الخاصة بالمضيق ، واستغربت لهذا! ما الذي أتى بصور الدلافين ! فأنا لم أطلبها!! فلما فعلتها كموقع فإذا بي أرى موضوعاً ليس عن مضيق جبل طارق وحسب ، بل عن خليج جبل طارق Bay of Gibraltar وهو خليج صغير تشرف عليه صخرة طارق بن زياد وتسكنه الدلافين !! فما عليك إلا أن تكتب في محرك البحث – وليكن Google – كلمتي:الحوت ومضيق جبل طارق بالانكليزية Whale+Gibraltar حتى تظهر لك مئات المواقع كلها تتحدث عن الموضوع نفسه .

لماذا وجود الحيتان في مضيق جبل طارق ؟

يمثل مضيق جبل طارق واحداً من أعظم الجسور الطبيعية في العالم ، حيث يتميز بمرور هجرتين للطيور من خلاله عبر السنة ، كما يتميز بمرور الحيتان المستمر بين المحيط والبحر لسبب غير معروف إلى الآن.وتزور المضيق أنواع عديدة من الحيتان ، أمثال : الحوت الأحدب، وحوت العنبر ، والحوت القاتل،والحوت الكاذب القاتل ، والحوت الطيار.

لقد تميز مضيق وخليج جبل طارقstriats of Gibraltar and By of Gibraltar بصفة فريدة من نوعها ،علاوة على أنهما يحتويان على أعداد كبيرة من الحيتان والدلافين ، فهما يقعان في منطقة سياحية رئيسية في متناول معظم دول أوربا الغربية .

ولأن عرض المضيق في أضيق نقطة له يبلغ حوالي ١٣ميل ، لذا فإن تركيز الحيتان في هذه المنطقة عالٍ جداً خصوصاً باتجاه الوسط ، وعلى بُعد ثلاثة أميال من الشاطئ ممكن أن تجد أنواعاً ضخمة من الحيتان أمثال حوت العنبر Sperm whale.

كما وإنه لسبب أو لحقيقة غير معروفة تماماً تزور أعداد ضخمة من الدلافين الخليج الصغير، الذي تطل عليه صخرة طارق بن زياد Bay of Gibraltar.

تتميز الدلافين بتوددها وألفتها ، فكثيراً ما تقترب وكأنها صديقة قديمة للإنسان ، وهي متواجدة في هذا الخليج على طول أيام السنة . كما يمكن للناظر الخبيررؤية الأنواع الأخرى من الحيتان الثديية وهو في الشاطئ إذا علا ربوة أو مكاناً مرتفعاً.

تتميز الحيتان في كونها حيوانات اجتماعية لاتعيش منفردة ، بل تقضي حياتها سوية على شكل مجموعات تختلف أعدادها من عائلة مكونة من ثلاثة أفراد إلى مئات عديدة . وهي تعمل عملاً جماعياً أشبه بعمل المنظمات وبروح تعاونية ، فهي تتعاون معاً للحصول على الطعام ويساعد بعضها بعضاً عند الوضع ، وتتعاون فيما بينها من أجل النوم !

شوهدت مجموعة من الدلافين في خليج جبل طارق يصل عددها إلى خمسين ، تدور متسابقةً حول مسار دائري بقطر نصف ميل ، واستمرت على هذا لمدة ساعة كاملة وهي تقفز بصخب وترش الماء ، ولم تكن تفعل ذلك طلباً لطعام أو استعراضاً لقتال ، وإنما كانت تفعل ذلك أشبه بأسلوب المباراة ، لذا فان الدلافين توصف بأنها أولمبية ، وقد شوهدت مجموعة أخرى من الدلافين تسند دولفيناً مجروحاً إلى سطح الماء لمساعدته على التنفس ، هذه الكائنات المحبوبة يمكن ان تُرى في معظم الأيام في خليج جبل طارق ، وقد تميزت بطبعها هذا منذ القدم .

التصور العام لقصة مجمع البحرين(٥) :

أراد موسى (عليه السلام) ان يلتقي بذلك العبد الصالح كي يتعلم منه بعضاً مما علمه الله سبحانه وتعالى ، وكان عليه ان يلقاه في مجمع البحرين ، وهو لقاء ليس بالأمر السهل ، إن لم تكن له علامة . مثال ذلك أن يقول لك شخص سأقابلك عصراً عند شاطئ شط العرب ويسكت هنيهة ، فانه حالاً سيتبادر إلى ذهنك : وأي مكان في الشاطئ ؟ فتنتظر أن يكمل جملته، فإذا قال لك مقابل المتحف الطبيعي عرفت بالضبط في أي مكان يقصد ، وما عليك إلا أن تذهب هناك لتقابله ، وإن كنت من بلد آخر ستواجه صعوبة في العثور عليه إذا لم تكن ممن زار الشاطئ وله علم بموقع المتحف الطبيعي،ويزداد الأمر صعوبة إذا لم يحدد لك الوقت صباحاً أو مساءً وفي أي ساعة !.

كانت علامة موسى (عليه السلام) ان يلقى العبد الصالح عند مجمع البحرين في مضيق جبل طارق الذي كان أمره سرّاً عند الفينيقيين فقط ، فهم على علم بمجمع البحرين ويعرفون تلك الصخرة حق المعرفة فلقد كانت مرسىً ومأوىً مهماً تأوي إليه السفن محتمية من العواصف ، هذه الصخرة المشرفة على خليج صغير تكثر فيه الدلافين منذ القدم ، وكانت علامة موسى (عليه السلام) أن يجد حوتاً أو حيتاناً على مقربة من الشاطئ ، حيث بإمكانه أن يلتقي العبد الصالح هناك . وصلت السفينة التي تقل موسى وفتاه إلى مجمع البحرين وهنا ينزل موسى وفتاه إلى الشاطئ في الجهة الشمالية من المضيق (جنوب اسبانيا) بلد المعادن الذي كان بمثابة كنز للفينيقيين ، الذين راحوا ينقبون في مناجمها جرياً وراء الثراء ، وتلك كانت مهنتهم حيث أقاموا المستعمرات هناك. والمفروض أن يلتقي موسى مع العبد الصالح في هذه الجهة، وصادف أن نزلَ موسى (عليه السلام) وفتاه الشاطئ آخر النهار فرأى أن يبيتا الليل عند الصخرة،التي طالما مثلت مغارتها الملاذ الآمن لإنسان ما قبل التاريخ(النيادرتال)،وهنا احتمالان :

اما أن يكونا قد نسيا التنقيب عن الحوت قبل قدوم الليل ، أو أن يكونا قد نقبا عنه ولكن لم يريا شيئاً ،وان الحوت قد ظهر صباحاً ، لكنهما لم ينقبا عند الصباح اعتماداً على الأمس أو إنهما فعلا ولكن بعد أن توارى الحوت عن الأنظار. فينامان في إحدى تجاويف الصخرة بهيئة الحذر وهي أن تكون أقدامهما باتجاه الخارج، ورؤوسهما باتجاه الداخل وقد أسندت إلى مرتفع من الأرض بحيث يتمكنان من رؤية الداخل مخافة خطر محدق ، حتى إذا أخذ النهار يقحم بضوئه شيئاً فشيئاً يفتح فتى موسى (عليه السلام) عينيه ،ليرى وهو في سكرة نومه ذلك الحوت أمام عينيه وهو يشق طريقه مبتعداً عن الشاطئ ، ليلتحق بسرب من الحيتان وقد اتخذ طريقه في البحر بحركات بهلوانية عجيبة وما يرشه من الماء حتى توارى عن الأنظار، فلما نهضا مِن نومهما صباحاً نسي الفتى ذلك المشهد كما ينسى الكثير منا تلك المشاهد التي شاهدها في سكرة نومه ، فينهضان صباحاً ليستئنفا الرحلة من جديد مشياً على الأقدام بمحاذاة الساحل، حتى إذا وَصَلا موقع مدينة (سان بدرو) الساحلية يبتدئ الطريق الصعب المتعب جداً في مرتفعات وعرة بعد أن كان طريقاً ساحلياً سهلاً منبسطاً ، فلم يكادا يمشيان في هكذا طريق حتى يستبين بهم التعب ، فيبادر موسى (عليه السلام) سائلاً : ((إتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا))، فكأن الله لايكلف نفساً إلا وسعها، فلماذا نلاقي نصباً ماكنا لاقيناه من قبل ؟ ! فيطلب الغداء استعانة على هذه الرحلة المنهكة القوى ،ويتساءل عن سبب هذا النَصَب ، فيكون هذا التساؤل بمثابة الشحنة التي دغدغت ذاكرة الفتى ليجيب في الحال: ((أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا))، لقد تذكر الفتى هذه العلامة التي كانا ينشداها ، وهنا يجيبه موسى (عليه السلام) ((ذلك ما كنا نبغ)) ، فما كانا منهما إلا أن يعودا إلى الصخرة ، لكن العودة لم تكن سهلة ((فارتدا على آثارهما قصصا))، كان عليهما أن يقصان الطريق قصا ، من ها هنا أتينا ومن ها هنا مشينا حتى وصلا إلى الصخرة ليجدا عندها عبداً من عباد الله ((فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمةٌ من عندنا وعلمناه من لدنا علما)) ، والله أعلم .

هوامش ملحق رقم (٣)

(١) د.تحفة جعفر (إعداد) . رحلة مع اللغز القرآني،مراجعة وتقديم:الشيخ محمد اليعقوبي،مطبعة المعارف،(النجف الأشرف ،د.ت).

(٢) منير نصيف (إستطلاع) و : صلاح آدم (تصوير).مفاتيح جبل طارق ، مجلة العربي ، العدد:٢٥٧ ، (الكويت ، جمادى الاولى ١٤٠٠ هـ / إبريل (نيسان) ١٩٨٠ م) ، ص ٨٣.

(٣) د.تحفة جعفر . رحلة مع اللغز القرآني ص٣٠- ٣١.

(٤) المرجع نفسه ص ٣٤- ٣٩ .

(٥) المرجع نفسه ص ٤٢- ٤٥.

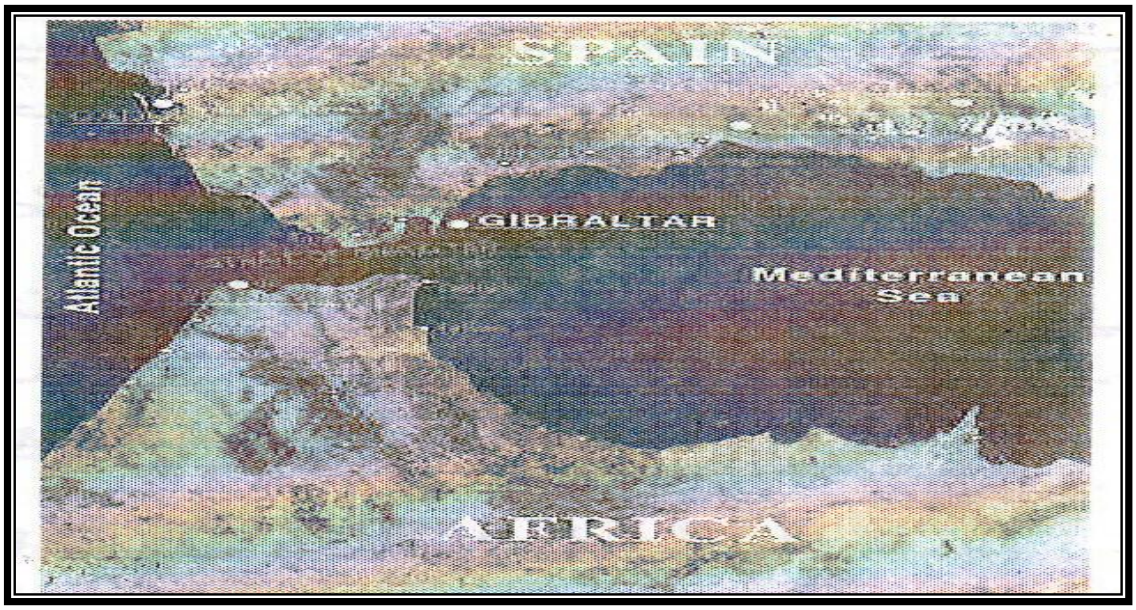

مضيق جبل طارق

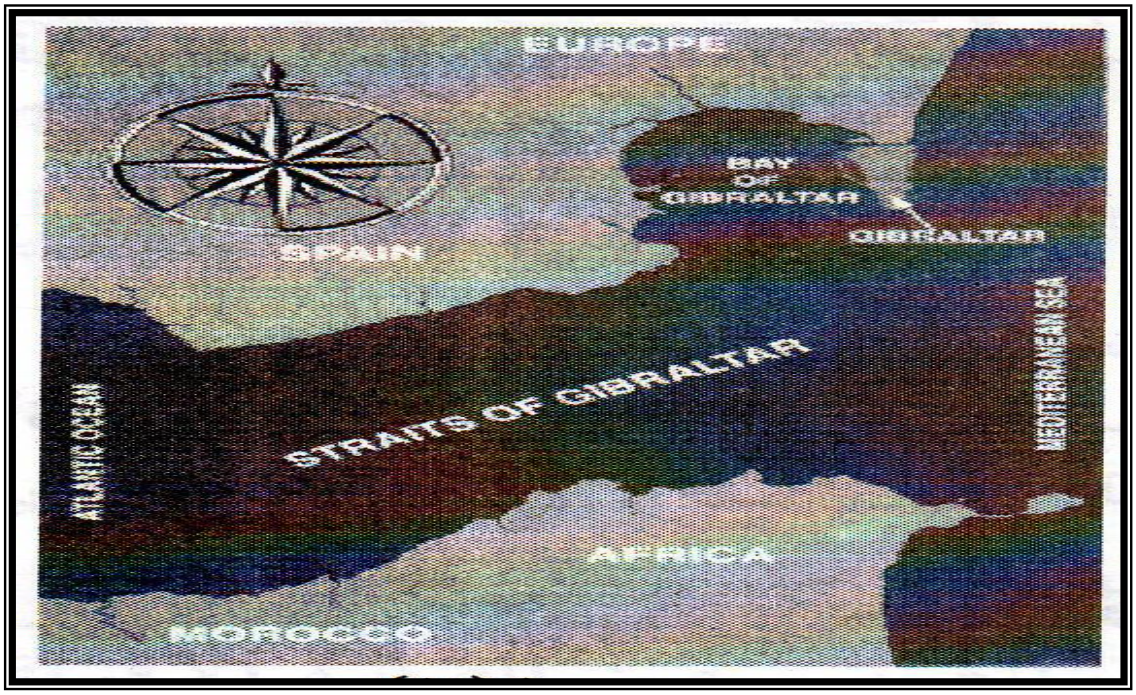

موقع جبل طارق(Gibraltar) في المضيق

المرجع: د.تحفة جعفر.رحلة مع اللغز القرآني ص١٥.

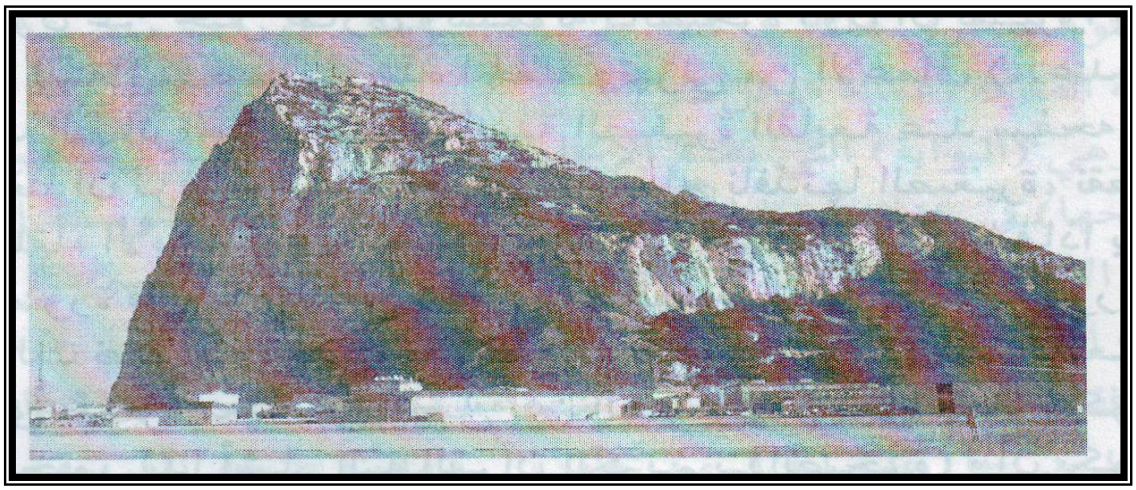

صخرة طارق بن زياد

المرجع: د.تحفة جعفر.رحلة مع اللغز القرآني ص١٦.

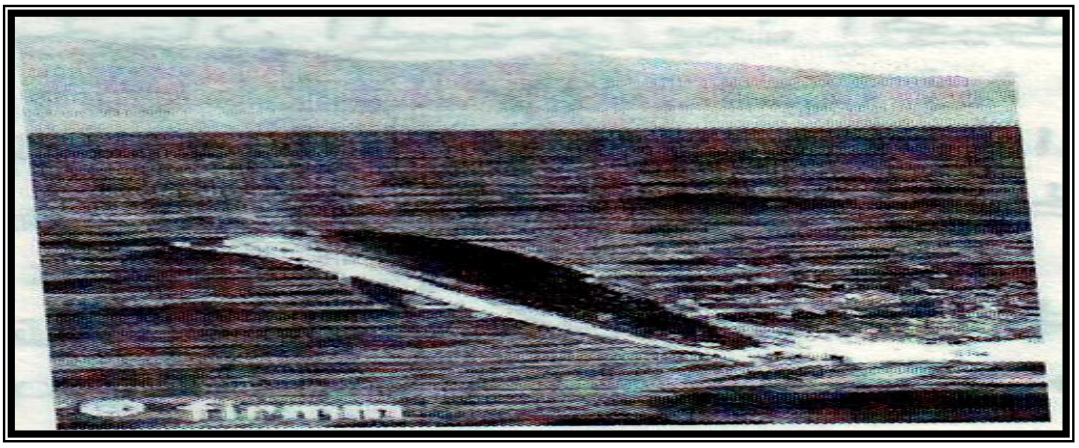

صورة يظهر فيها الدولفين وصخرة طارق بن زياد

المرجع: د.تحفة جعفر.رحلة مع اللغز القرآني ص٣٨.

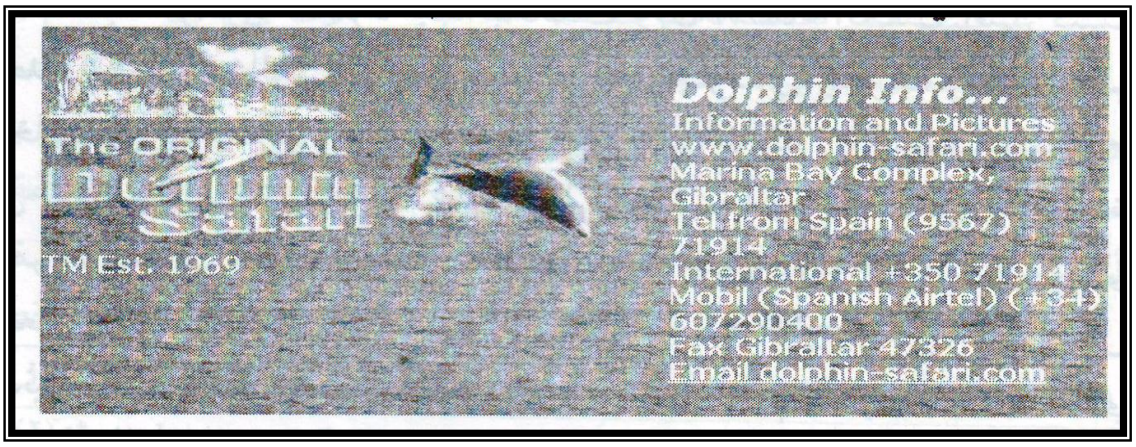

واجهة لأحد مواقع الإنترنت (عن الدلافين وخليج جبل طارق)

المرجع : د.تحفة جعفر. رحلة مع اللغز القرآني ص ٣٩ .

Abstract

This research is an attempt to study al-Bahrain (or the Two Seas) in *Holy Quran*, the sacred book of Lord, in which the sea is described perfectly in addition to the great importance and usefulness of the sea on Mankind. As such, this research is devoted to stating the concept of al-Bahrain, its borders and placement in the *Holy Quran*.

If the phenomenon of the meeting between the sea and land in al-Bahrain environment represented a duality that affected the life of its inhabitance, yet, there is another duality that has given al-Bahrain its name and existence. This duality is the actual outcome of the meeting of the two seas: sweat water that tastes wonderfully and saline water which tastes unbearable. This description is mentioned in the *Holy Quran*, as such, this research is going to make a special focus on it. What is noteworthy is the condition of the sea with its waves and blesses that paved the way to the emergence of the urban life of al-Bahrain and the way this life started to flourish through the successive eras of history.